مجلة شهرية

نور المسيح

Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 174 عدد:

February 2022 شهر شباط

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

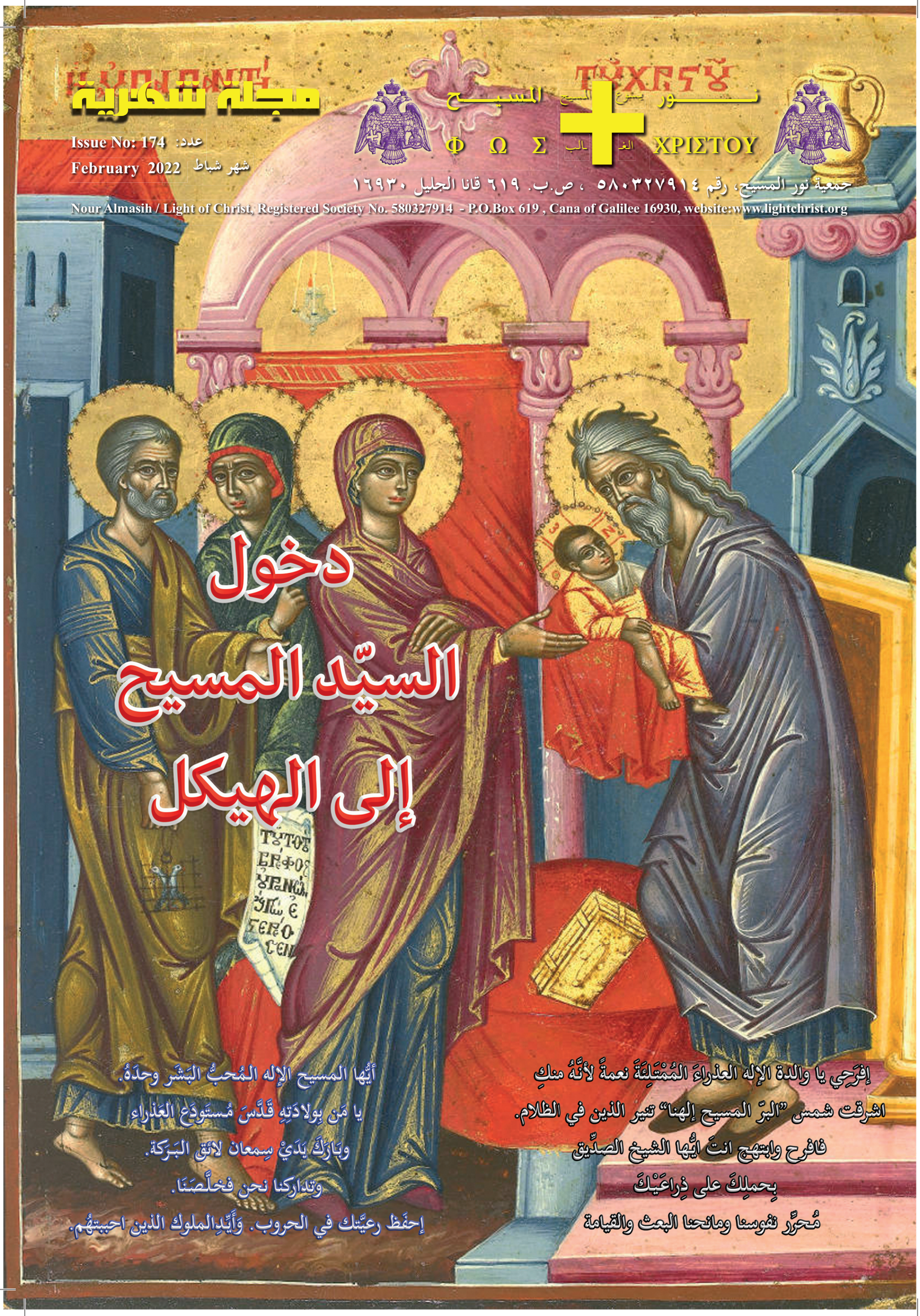

دخول السيّد المسيح إلى الهيكل

إفرَحِي يا والدة الإله العذراءَ المُمْتَلِئَةَ نعمةً لأنَّهُ منكِ
اشرقت شمس "البرّ المسيح إلهنا" تنير الذين في الظلام.
فافرح وابتهج انتَ ايُّها الشيخ الصدِّيق
بِحملِكَ على ذِراعَيْكَ
مُحرِّر نفوسنا ومانحنا البعث والقيامة

أيُّها المسيح الإله المُحبُّ البَشَر وحدَهُ.
يا مَن بِولادَتِهِ قَدَّسَ مُستَودَعَ العَذراءِ
وبَارَكَ يَدَيْ سِمعان لائقَ البَرَكة.
وتَداركنا نحن فخلَّصَنا.
إحفَظ رعيَّتك في الحروب. وَأَيِّدِالملوك الذين احببتهُم.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الإحتفال بعيد القديس سمعان الشيخ الحاضن (القابل) للإله

19/02/2020

لمَّا أبصر **الشيخ** بعينيه الخلاص الذي وافى الشعوب من الله. هتف إليك أيُّها **المسيح** قائلًا: أنت إلهي. وذلك عندما أبصر **الشيخ سمعان** الخلاص الذي "أتى لجميع الشعوب، هتف إليك أيُّها **المسيح** أنت هو **إلهي المولود من الآب**". هذا ما يتفوه به **مرنم الكنيسة القديس قزما أسقف مايوما**.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها الزوار الأتقياء

إنَّ نعمة **الرُّوح القُدُس** التي كانت على القديس سمعان القابل الإله، قد جمعتنا اليوم في هذا المكان والموضع المقدَّس حيث قبر القديس الذي نكرِّمه، وذلك لكي نحتفل مُعيّدين بشكرٍ لعيد اللقاء أي دخول ربنا ومخلصنا **يسوع المسيح** إلى الهيكل حيث حُمل على ذراعَيْ سمعان البارِّ.

إنَّ عيد لقاء **المسيح** أو بما يُعرف **بعيد دخول السيد إلى الهيكل** يُشكل في الحقيقة امتدادًا لعيد الميلاد المجيد وذلك لأن **كلمة الله** تَأَنَّسَ وَتَجَسَّدَ **من دماء العذراء الطاهرة النقية سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم**، وصار إنسانًا كاملًا مُتممًا ما هو مكتوب في ناموس العهد القديم.

وبحسب ما يوصي به الناموس الموسوي، فإنه يجب أن يُقَدّم للهِ كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي (خروج١٣: ٢، ١٢-١٣) وأما النساء اللواتي يلدن يجب عليهن أن يدخلن إلى الهيكل بعد إتمامهن الأربعين يومًا من ولادتهنّ. وأن يُقَدِّمْنَ خَرُوفًا حَوْلِيًّا مُحْرَقَةً، وَفَرْخَ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، إِلَى الْكَاهِنِ (لاويين ١٢: ٦)، وإن كانت من الطبقات الأكثر فقراً تَأْخُذُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ، الْوَاحِدَ مُحْرَقَةً، وَالآخَرَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ (لاويين ١٣: ٨).

فيوسف الخطيب **وأم يسوع** عندما تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِيسوع إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوه لِلرَّبِّ (لو٢:٢٢).في

هيكل سليمان، عندها اقتبل الطفل **يسوع** على ذراعيه الشيخ سمعان الصدِّيق والتَّقِيّ كما يشهد بذلك الإنجيلي لوقا.

إن كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة ولا سيما كنيسة أورشليم تُكرِّم اليوم بشكلٍ خاصٍّ وبوقارٍ هذا العيد الجامع للقديس سمعان الصديق، القابل للإله والقديسة حنة النبيّة وذلك لأنَّ القديس سمعان الصدِّيق والتّقيّ قد تعرَّف بقوَّة **الرُّوح القُدُس** على **ابن الله وكلمته** المتجسِّد كما يؤكد ذلك الإنجيلي لوقا إذ يقول: «أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَانَ عَلَيْهِ.وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ». (لوقا ٢: ٢٥-٢٦). وبحسب **القديس باسيليوس الكبير** فإن الشيخ سمعان وحنة النبية رأيا القوَّة الإلهيَّة التي كانت في **المسيح** «كنورٍ عَبْرَ أغشيةٍ زجاجية من خلال الجسد البشري تمامًا كما نُبصر النور عَبْرَ الأنوار الزجاجية هنا أيضًا فإنَّ أنقياء القلوب يرون عبر جسد **المسيح** نور الألوهية.» وبحسب **القديس أثناسيوس الكبير** فإنَّ البارَّ سمعان كونه رَجُلًا في الظَّاهر لكنه كان أكثر من رجلٍ بإدراكه، فقد كانت أورشليم الأرضية المنظورة مسكنه وموطنه ولكن أورشليم العلوية كانت عاصمته.

إنَّ ما ذكرناه سابقًا يُؤكد عليه لاهوتيًّا **القديس قزما** المرنِّم قائلًا:« لقد غطت فضيلتك السَّماوات أيُّها المسيح، فإنك برزت من تابوت قدسك الأم المنزّهة عن الفساد فشوهدت في هيكل مجدك طفلًا محمولًا في الأحضان، وامتلأ الكل من تسبيحتك.» **(انظر مديح العذراء البيت الثالث والعشرون: إفرَحي يا تابوتًا مُذَهَّبًا بالرُّوح)**.

وبحسب قزما مرنم الكنيسة إنَّ **العذراء والدة الإله مريم** هي التابوت الجديد «العقلي الحي»، فبحسب **القديس يوحنا الدمشقي** فإنها حملت في أحشائها كجنينٍ «المقدس» أي جسد الرَّبّ يسوع المسيح الممسوح، والمقدَّس والمؤلَّه التي اتخذها جَسَدَهُ من ألوهَةِ المسيح نَفْسِهِ. فإنَّ **المسيح** قد برز من **الأم المنزهة عن الفساد**، برز كطفلٍ في هيكل

مجده محمولًا على الأيدي، وكما يقول **القديس يوحنا الدمشقي**: فالإله الكائن قد صار إنسانًا وحُمل كطفلٍ صغيرٍ على الأيدي الأرضية.

إنَّ الأيدي الأرضية ليست هي إلَّا ذراعي الشيخ سمعان وهذا ما يتفوه به **القديس الإنجيلي لوقا** « أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ » (لوقا ٢: ٢٨-٣٢).

إنَّ موهبة النبوءة التي للقديس سمعان قد جعلته يرى من قبل بأنَّ هذا الطفل هو **المسيح** مخلص العالم كما سبق وتنبَّأ عنه **إشعياء** العظيم الصوت قائلًا: «وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ » (لوقا ٣: ٦) وبحسب المزمور: «أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ. لِعُيُونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّهُ » (مزمور ٩٨: ٢).

إنَّ فصل الرسائل للعيد السيِّدي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بحدث عيد اليوم إذ يقول: «بِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ: الأَصْغَرُ يُبَارَكُ مِنَ الأَكْبَرِ» (عبرانيين ٧:٧)، ويذكر **القديس بولس الرسول** هذا في حدث مقابلة **إبراهيم رئيس الآباء** مع ملك شاليم ملكي صادق الذي كان أيضًا كاهنًا للعليّ (تكوين ١٤: ١٨). إذ أنه بدون أي نزاعٍ أو مشاجرةٍ فإن الأصغر والأدنى يُبارَك من الأعظم والأكبر، وهذا ما حدث عند لقاء الطفل **يسوع** الشيخ سمعان، فرئيس الكهنة العظيم **يسوع المسيح** الرئيس الأبدي كطفلٍ ابن أربعين يومًا يلتقي **الشيخ سمعان في الهيكل** وكما تَبارَكَ إبراهيم من ملكي صادق، فهكذا أيضًا سمعان الشيخ قد تبارك من **المسيح** عندما حمله على ذراعَيْهِ (لوقا ٢: ٢٨).

وبكلام آخر فإنَّ سمعان البارَّ قد أدرك أنَّ هذا **الطفل الإلهي** هو الأكبر والأعظم، بينما هو الأصغر أي الأدنى لهذا فقد ابتهج قلبه وهتف قائلًا: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ» (لوقا ٢:٢٩).

فإنْ أردنا أيُّها الإخوة الأحبة أن نكون نحن أيضًا مشاركين ومساهمين في هذه البركة التي أخذها مَنْ نُكرِّمه اليوم **القديس البارَّ سمعان** فعلينا أن نقتدي بإيمانه وبشوقه وبصبره عندما نقترب من رَبِّ المجد أي ربنا ومخلصنا **يسوع المسيح** في سِرِّ الشُّكر الإلهي حيث نصبح نحن من جسدٍ واحد ودمٍ واحدٍ مع **المسيح** إلهنا ومخلصنا. ومع **المرنم** نهتف ونقول: «هلموا نلتقِ نحن أيضًا المسيح الذي أبصر سمعان خلاصه. فنستقبله بالأناشيد الإلهية هذا هو الذي أخبر داود عنه. هذا هو الناطق بالأنبياء الذي تجسد لأجلنا وقد نطق بالشريعة. فلنسجدنَّ له». **آمين**

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

تابوت العهد – هو رمز من رموز العذراء في نبوءات العهد القديم

« شُبِّهَت **القديسة مريم** بتابوت العهد المصنوع من الخشب الذي لا يسوس مُغشَّى بالذَّهب من كل ناحيه **وانت يا مريم العذراء** متسربلة بمجد اللاهوت من الداخل والخارج »

+ مصنوع من خشب السنط لايسوس وهذا رمزًا **لطهارة وقداسة السيدة العذراء مريم**.

+ أَمَرَ **الرَّبّ موسى** أَن يُغشَّى التابوت من الداخل والخارج بالذَّهب النقيّ وهذا اشارة الى مجد اللاهوت الذي اشتملت به **السيدة العذراء مريم** .

+ الذَّهب والسِّنط مادتا التابوت رمزٌ لاتحاد اللاهوت والناسوت.

+ كان بداخل التابوت كثير من المقدسات مثل قسط المن ... وعصا هارون ... لوحي الشريعة وهذه الاشياء ترمز الى **السيدة العذراء مريم** من جهة وللفضائل التى تحلت بها من جهةٍ أُخرى.

« لأننا أيها الأخوة سقطنا في الخطايا بعد **المعموديَّة**، وبالتَّالي دَفَنَّا نعمة **الرُّوح القُدُس** التي أعطيت لنا في **معموديتنا**، من الضروري أن نَبذل كُلّ جهدٍ لكي نستعيد تلك النعمة الأصليَّة التي توجد في الأعماق مدفونة تحت أهوائنا، مثل جمرة في وسط الرَّماد. يجب علينا أن نُذرِّي جمرة النِّعمة هذه لتكون **شعلة جديدة** في قلوبنا. ولكي نفعل ذلك، يجب علينا أن نزيل الأهواء من قلوبنا كما يُزال الرَّماد من الموقد، ونستبدله بحطب الطاعة **لوصايا الرَّبِّ المعطية الحياة**. نستطيع أنْ ننفخ في الشرارة بتوبة قلبيَّة صادقة وبترديد هذه الصلاة: «**ياربي يسوع المسيح، ابن وكلمة الله، أرحمني**». وعندما تمكث هذه الصلاة بشكل دائم في قلوبنا، تُطهرنا من رماد الأهواء، وإذ تجد جمرة النعمة بالداخل تُشعل نارًا مدهشة وعجيبة»

القديس نيقوديموس الآثوسي

١٧٤٨ – ١٨٠٩

أحد الفرِّيسي والعشَّار

التواضع باب السماء والكبرياء أُمّ الأهواء

الأوّل سقط لكبريائه والثاني رفعه الله لتواضعه

أحد الفرّيسي والعشّار

الأحد الأوّل من فترة التهيئة (آحاد التريودي)

في هذا الأحد يُتلَى المثَل الّذي ساقه **الرَّبُّ** عن فَضِيلَتَي التوبة والتواضع، مبيِّنًا كم هما محبوبتان لدى الله، أكثر من الذبائح والعبادة الظاهريّة المرفقة **بروح الكبرياء والتعالي** على الآخرين.

تُنبّهنا **الكنيسة** أنَّ حجر الأساس لفترة الصوم هو التواضع المقرون بالتوبة.

المغزى من وضع إنجيل الفرّيسي والعشّار في الأحد الأوّل الذي يفتتح زمن الترودي هو التواضع.

لما سُئل **القدّيس مقاريوس الكبير**: «ما هي أعظم الفضائل ؟» أجاب «كما أنَّ التكبُّر أسقط ملاكًا من علوّه وأسقط الإنسان الأوّل، كذلك الاتّضاع يرفع صاحبه من الأعماق».

ويقول **القدّيس إسحق السوري** عن التواضع: « الذي يتنّهد كلّ يوم على نفسه بسبب خطاياه، خيرٌ من أن يقيم الموتى. والذي استحق أن يبصر خطاياه، خير له من أن يبصر ملائكة.»

«إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا.» (١يو ١:٨). نحن في حاجة دائمة إلى أنْ نصرخ مع العشار «اللّهُمَّ ٱرْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ.» (لوقا ١٨:١٣). مهما نقتنِ من الفضائل فلنذكر دائمًا أنَّنا ضعفاء، معرّضون لأنْ نخطئ ولنطلب الرحمة والغفران من الله.

قنداق أحد الفريسي والعشار باللحن الرابع

لِنَهْرُبَنَّ مِن كلام الفرّيسيّ المُتشامِخ، ونتعلَّم تواضُعَ العشّار، بالتّنهُّداتِ هاتفين إلى المُخلّص: ارحمَنا أيُّها الحَسَنُ المصالحةِ وحدَك.

الفرّيسّيون

كلمة «فرّيسيّ» بأصولها الآرامية تعني «المفروز» أي الذي يميّز نفسه عن سائر الناس على أنّهم خطأة.

هم كهنة وعلمانيّون، بدأوا نشاطهم في الفترة ما بين العهدَين القديم والجديد. استاؤوا من تدهور الحالة الدينيّة وإهمال قانون الله بين الشعب اليهودي في ذلك الزمن، انعزلوا في مجموعات.

فأخذوا يعلّمون حفظ الناموس اليهوديّ بدقّة (التوراة)، في محاولة لاستعادة التقوى بين الناس. ولكنّهم بالغوا في رغبة التقوى والبِرِّ فسرعان ما بدأوا يثقون بتفسيرهم الخاص للناموس بدلًا من السعي إلى تعلُّم مغزاه.

أمسَوا يتباهون بحفظ الشريعة عن ظهر قلب وتعليمها، وتطبيقها حرفيًّا. ولكن تصرّفهم هذا كان من الخارج فقط، إذ قال لهم **الرَّبّ**: «تَرَكْتُمُ الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ». حفظوا السبت والوصايا العشر وأداء العشور كمظاهر، فنالوا توبيخ **الرَّبّ** وشبّههم **بالقبور المكلّسة**، أيْ من الخارج بيضاء اللون ومن الداخل **مليئة بالعفن**.

كانت الأغلبيّة فيهم تتكبَّر على الناس وتتباهى بالسلطة، وأخذوا يركضون **وراء المال والمناصب والمراكز والمكاسب الرخيصة**، ولا يشعرون مع الشعب وخاصة الفقراء. ،

من جهة العقيدة، اعترف الفريسيّون بكل أسفار العهد القديم (التوراة والأنبياء والكتب التاريخيّة الأدبيّة)، بالإضافة إلى أسفار التلمود وغيرها مِن الكلمات الموسويّة المكتوبة. كما آمنوا بالقيامة والثواب والعقاب وبالملائكة عكس الصدّوقيين. وكانوا يتوقعون مجيء المسيا مخلّص إسرائيل كملك عظيم ليرفعهم فوق كل شعوب العالم. وكانو يتّهمون **يسوع** بانتهاك شريعة السبت ومخالطة الخطأة والعشارين (متى ٩:١١).

العشّارون

كلمة عشّار في الأساس تأتي من كلمة عِشْر، وتأدية العِشر مذكورة في العهد القديم وهي أن يقدّم الإنسان عشرة في المئة من كلّ ما يجنيه من مال أو غلال (اللاويين ٢٧:٣٠).

ولكنّ العشّارين لم يحترموا الشريعة ولا طبّقوها. كانوا يجبون الضرائب المفروضة من السلطات الرومانيّة على الشعب اليهودي، **وكانوا ظالمين عديمي الرحمة**، يأخذون أكثر ما يحقُّ لهم. لذا كانوا يجنون أرباحًا طائلة مِن وظيفتهم هذه، ويتحرّون بين الناس لكسب المزيد.

فباتوا مكروهين ومحتقرين جدًّا من قبل الشعب بخاصة لأنَّهُم يمثّلون **الاحتلال الروماني وَيُعْتَبَرُونَ خونة**، حتّى أنَّ معلّمي الشريعة وضعوا العشّارين واللصوص في الخانة نفسها، وقد ذُكروا في الإنجيل هكذا (متى ٩: ١٠ – مرقس ٢: ١٥– لوقا ٥: ٢٩).

وقد ضرب **الرَّبّ يسوع المسيح** فيهم المثل في عظة الجبل:« أَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟» (متى ٥: ٤٦).

الرَّبّ يسوع تكلّم على ثلاثةِ عشَّارين:

– **لاوي العشّار** الذي ترك كل شيء (بالأخص ترك طاولة الجباية) وتبع المسيح، وأصبح **متى الإنجيليّ** (لوقا٥: ٢٧–٢٨).

– **العشّار الذي نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا** (لوقا١٠: ١٨).

– **زَكَّا رئيس العشّارين** (لوقا ١٩: ٢).

الصوم:

كان اليهود يصومون بحسب شريعتهم، التي فرضت الصوم في يوم الكفارة من غروب الشمس إلى غروبها الثاني في اليوم العاشر من الشهر السابع (يوم كيبور) من التقويم العبريّ (لاويّين ٢٣: ٢٦–٣٢). ومارسوا الصيام في مناسبات أخرى أيضًا.

وفق الدلالات التاريخيّة، أخذ الفرّيسيّون يمارسون صيامًا منتظمًا تقويًّا في اليومَين الثاني والخامس من كلّ أسبوع (متى٩: ١٤؛ لو ١٨: ١٢).

الهيكل:

معروف **بهيكل سليمان** لأنَّهُ هو الذي بناه أوّل مرّة في أورشليم .

كان في الهيكل قسمان رَئِيسِيَّان: الأوّل لا يدخله إلّا الكهنة ويقال له القُدس، وضمنه قسم يُدْعَى قدس الأقداس لا يدخله إلّا **رئيس الكهنة** مرّةً في السنة، ليقدّم ذبيحة عن خطاياه وجهالات الشعب. أمّا القسم الرئيسي الثاني فمخصّص لليهود دون سواهم. وكان للهيكل باحة داخليّة تتضمّن باحة النساء، وباحة خارجيّة محاطة بأروقة الهيكل بعضها مفتوح لغير اليهود.

ملحوظة: الهيكل هو المكان الوحيد الذي كان اليهود يقدّمون فيه الذبائح عن خطاياهم، وكان يفرض على كلّ يهودي أن يزور الهيكل على الاقل مرّةً في السنة.

– هل تعلم أنّنا **لا نصوم** يومي الأربعاء والجمعة في الأسبوع الذي يلي أحد الفريسي والعشّار؟

إنّها عبرة كي لا نقع في **كبرياء الفريسيّ** الذي تفاخر بصومه.

فالصوم لا ينفصل عن الصلاة النقيّة المتواضعة. **والتواضع** هو أعظم الفضائل فيما **الكبرياء** أسوأ الرذائل.

الصوم والصلاة مشروع تنقية داخليّة لولادة جديدة **بالرَّبّ يسوع المسيح**.

– هل تعلم لماذا صعد الفرّيسيّ والعشار إلى الهيكل؟

في العهد القديم، كان الشعب يلمس حضرة الله في تابوت العهد، ثمّ في خيمة الاجتماع (خروج ٢٥: ١٦–٢١)، ثمّ في هيكل أورشليم، الذي بناه الملك سليمان، حيث صار قدس الأقداس موضع الحضرة **الإلهيّة** (١ملوك ٨: ١٠–١١).

الهيكل الذي بناه الملك سليمان **هدمه البابليّون** سنة ٥٨٧ قبل **الميلاد**. أمّا الهيكل الذي كان أيّام **المسيح** فقد **هدمه الرومان** سنة ٧٠ م.

كان هيكل أورشليم هو المكان الوحيد الذي يقدّم فيه اليهود الذبائح عن خطاياهم،

وقد فُرِضَ على كلّ يهودي أن يزوره أقلّه مرّةً في السنة. أمّا **المسيح** فأتى إلينا ليكون هو الهيكل والذبيحة. لذلك **انشقَّ حجاب الهيكل** عندما صُلِبَ المسيحُ على الصليب وأسلَمَ روحه بين يديّ الآب .

فالسيِّد المسيح قد هدم العداوة الفاصلة بين الله والإنسان وجمع المتفرّقات إلى واحد.

﴿وهكذا زال الحجاب الفاصل بين القدس وقد الأقداس، إذ فتح المسيح طريق الدخول إلى الفردوس بعدما أُغلِقَ بسبب سقوط آدم وحواء، وحراسته بسيف من النار بيد الكاروبيم، فالسيّد المسيح أعاد فتح الفردوس إذ أدخل اللص اليمين معه إلى فردوس النعيم «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ». (لو ٢٣: ٤٣)﴾ (جمعيّة نور المسيح).

دعوتنا بخاصة في هذا الزمن الخشوعي أن نتوب ونصبح هيكل **الرَّبّ القدّوس**.

« مكتوب يا ابني: أني لا أُسَرُّ بموت ٱلخاطئ بل أن يرجع ويحيا، فٱرجع إذًا يا ابني وَسَتَرَى شخص ربنا يسوع المسيح المملوء فَرحًا بخصوصك، مثل مُرضعة يفيض الفرح من وجهها بالنسبة لطفلها إذا رفع يديه ووجهه نحوها، وهكذا تمامًا إذا امتلأ من كُلِّ قذارة فهي لا تقرف من الرائحة ولا من البُراز، ولكنها تشفق عليه وتضمه إلى صدرها ووجهها مملوء فرحًا، وكل شيء يحدث منه يكون حُلوًا لها فإذا كانت – وهي المخلوقة – مملوءة شفقة نحو ابنها، فكم بالأكثر تكون قوّة محبة الخالق ربنا يسوع المسيح نحونا؟ ».

القديس مكاريوس الكبير

«وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ! فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ» (لوقا ١٥: ١١-٣٢).

إنّي أسمع أحد الأنبياء القديسين وهو يحاول أن يربح البعيدين عن الله إلى التوبة. فيقول: «اِرْجِعْ يَا إِسْرَائِيلُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّكَ قَدْ تَعَثَّرْتَ بِإِثْمِكَ. خُذُوا مَعَكُمْ كَلاَمًا وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ.» (هوشع ١٤: ١-٢). لذلك فأيُّ نوعٍ من الكلام يأمرهم بإرشاد **الرُّوح**، أن يأخذوه معهم؟ ألَا يكون لائقًا بالذين يرغبون أن يتوبوا، أن يرضوا الله، الذي هو شفوق ويحب الرحمة؟ لأنّه قد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين: «اِرْجِعُوا أَيُّهَا الْبَنُونَ الْعُصَاةُ فَأَشْفِيَ عِصْيَانَكُمْ» (أرمياء ٣: ٢٢). وأيضًا. يقول بصوت **حزقيال**: «ارجعوا، توبوا، وارجعوا عن كُل عصيانكم يا بيت إسرائيل، اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها، لكي لا تصير لكم مهلكة.. لأنّي لا أُسَرُّ بموت الخاطئ. بل أن يرجع ويحيا » (حزقيال ١٨: ٣٠-٣١). ونفس هذا الحقّ يعلّمه لنا **المسيح** هنا في هذا المثل الجميل، الذي سَأُحاول أن أبحثه بأقصَى طاقة ممكنة عندي، وسأجمع نقاطه الهامّة باختصار، وسأشرح وأُدافع عن الأفكار التي يحويها.

يرى البعض أنَّ الابنَيْنِ في المثَل يُشيران إلى الملائكة القديسين، من ناحية وإلينا نحنُ سكان الأرض من الناحية الأخرى. وأنَّ الابن الأكبر، الذي عاشَ بتعقُّل، يمثّل مجموع الملائكة القديسين، بينما **الابن الأصغر المُنحَرِف** يمثّل الجنس البشري. وهناك آخرون بيننا يعطون المَثل تفسيرًا مختلفًا، قائلين: إنَّ الابن الأكبر السالك حسَنًا يشير إلى إسرائيل حسب الجسد، بينما الابن الأصغر الذي اختار أن يعيش **في الشهوات والملذَّات** والذي ابتعد بعيدًا عن أبيه، إنما يُشير إلى **جمهور الأمم الوثنيين**. هذه الشروحات أنَا لا أُوافق عليها وأرجو ممن يحبّ التعلّم، أنْ يبحث ما هو حقيقي وما ليسَ عليه اعتراضات.

لأنَّ ما أقوله هو كما يأتي: « أعطِ فُرصًا للحكيم، وقدِّم معرفة للأبرار» (امثال ٩: ٩) كما يوصِي الكتاب، لأنّهم من الشروحات التي تُعطَى لهم سوفَ يفحصون عن المعنى المناسب، فإنْ كُنَّا، نُشير بالابن المستقيم إلى الملائكة، فإنَّنا لا نجده يتكلَّم الكلمات التي تليق بالملائكة، ولا نجده يُشارك الملائكة فَرحهم بالخطأة التائبين الذين يرجعون **من حياة دنسة**، إلى حياة وإلى سلوك جديرٍ بالإعجاب. لأنَّ **مخلِّص** الجميع يقول: « إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ » (لوقا ١٥: ٧)، بينما الابن الموصوف لنا في المَثَل، باعتبارِه مقبولًا من أبيه، ويسلك حياة بلا لوم، يَظهر أنَّهُ

غاضبٌ، بل ويَصِل في مشاعره الكارهةِ إلى درجة أنَّهُ ينسب اللوم إلى أبيه بسبب محبته الطبيعيَّة لابنه الذي خَلُص. فالمَثَل يقول: « فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ.» (لوقا ١٥:٢٨). لأنَّه **اغتاظَ** بسبب قبول الابن التائب، وَمِن **ذَبحِ العجل المُسَمَّن ولأنَّ أباهُ صنعَ له وليمة**. ولكن هذا كما قلتُ ، يختلف عن مشاعر الملائكة القديسين. لأنَّهم يفرحون ويُسبِّحون **الله** حينما يرون سكان الأرض يَخْلُصُون. لأنَّه حينما أخضعَ **الابن** نفسه ليولَد بالجسد من **امرأةٍ** في بيت لحم، حَمَّلَ الملائكة عندئذ الأخبار السَّارة إلى الرُّعاةِ قائلين: «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.» ويتوِّجون الذي وُلِدَ بالتمجيد والتسابيح قائلين: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لوقا ٢:١٠،١١،١٤).

ولكن إنْ كان أيّ أحد يقول: إنَّ إسرائيل حسب الجسد هو المقصود بالابن الأكبر في المَثَل الذي كان متمسِّكًا بوصيَّة أبيه فإنَّنا أيضًا لا نستطيع أنْ نوافق على هذا الرأي، ذلك لأنه من غير المناسب على الإطلاق أنْ نقول عن إسرائيل **إنه عاشَ حياة بلا لوم**. ففي كُلّ الأسفار المُوحَى بها **نجد شعب إسرائيل متَّهمين بأنَّهم متمرِّدون وَعُصاة**؛ لأنَّهم قد أُخبروا بصوت **إرميا**: «مَاذَا وَجَدَ فِيَّ آبَاؤُكُمْ مِنْ جَوْرٍ حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنِّي وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ وَصَارُوا بَاطِلاً؟» (إرميا ٢:٥). وتكلَّم **الله** أيضًا بعبارات مشابهة بصوت **إشعياء**: «هذَا الشَّعْبَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ بِفَمِهِ وَأَكْرَمَنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَأَبْعَدَهُ عَنِّي، وهُم يُعَلِّمون تعاليم هي وصَايَا النَّاسِ» (إش ٢٩:١٣). فكيف يستطيع أحد أن يطبِّق على أولئك الذين **يُوجِّه إليهم اللوم** هذه الكلمات المستعملة في المَثَل عن الابن الأكبر المتمسِّك بوصيَّة أبيه؟ لأنه قال: «هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ» (لوقا ١٥:٢٩)، لأنَّهم لم يكونوا ليُلاموا على طريقة حياتهم لو لم يتعدُّوا الوصايا الإلهيَّة، وبذلك أدَّوا بأنفسهم إلى **حياة مستهترة مُدَنَّسة**.

وأيضًا يقول البعض إنَّ العجل المسمَّن الذي ذبحه الأبُ حينما رجع ابنه إنما يشير إلى مخلِّصنا. ولكن كيف يمكن للابن الأكبر الذي يوصَف أنَّه حكيم وفطين ومتمسِّك بواجبه والذي يُشير به البعض إلى الملائكة القديسين – كيف يمكن لذلك الابن أن يعتبر ذبح العجل سببًا للغضب والغيظ؟ كما أنَّنا لا نستطيع أن نجد برهانًا على أنَّ القوَّات السماويَّة **قد حزنت** حينما احتمل **المسيح** الموت بالجسد، أي حينما ذُبِح **المسيح** لأجلنا. إنَّهم بالحريّ فَرِحُوا، كما قلت عندما رأوا العالم يَخْلُص بدمه المقدَّس، وأيضًا ما هو السبب الذي جعل الابن الأكبر يقول: «وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ» (لوقا ١٥:٢٩). فأيّ بَرَكة كانت تنقص الملائكة القديسين، إذْ أنَّ **ربّ الكُلّ** قد أنعَمَ عليهم – بيد سخيَّة بفيض من المواهب الرُّوحيَّة؟ وهل كانوا يحتاجون إلى أي ذبيحة فيما يخصّ حالتهم؟ لأنَّه لم يكن هناك احتياج ليتأ لَّم عمانوئيل أيضًا نيابة عنهم. ولكن إن تخيَّل أحد كما سَبَقَ وأن قلت، إنَّ المقصود بالابن الأكبر هو إسرائيل حسب الجسد، فكيف يستطيع أنْ يقول بالحقّ: «وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ» (لوقا ١٥:٢٩). لأنَّه، سواء دعوناه عجلًا أم جدْيًا **فالمسيح** هو المقصود **بالذبيحة** المُقَدَّمة **لأجل الخطيّة**. ولكنه قُدِّمَ ذبيحة ليس لأجل الأمم فقط، بل أيضًا ليَفدِي إسرائيل، **الذي بسبب تعدياته الكثيرة للناموس، قد جلب على نفسه لومًا عظيمًا، وبولس الحكيم** يشهد على هذا الأمر قائلًا: «لِذلِكَ يَسُوعُ أَيْضًا، لِكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ.» (عبرانيين ١٣:١٢).

فما هو موضوع المَثَل إذن؟ دعونا نفحص المناسبة التي قادت إليه، فإنَّنا بذلك سنتعلَّم الحقيقة. لذلك فإنَّ **لوقا المبارك** نفسه قد تكلَّم قليلًا عن **المسيح** مخلِّصنا قبل هذا المَثَل فقال: «وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ. فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ:«هذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ!» (لو١٥:١-٢). لذلك، فلأن الفرِّيسيِّين والكتبة اعترضوا على رحمته ومحبته **للإنسان، وَبِشَرٍّ** وبعَدَمِ تقوَى لاموهُ على قبول وتعليم الناس الذين كانت **حياتهم مُدَنَّسة**، فكان من الضروري أن يضرب **المسيح** أمامهم هذا المَثَل، لِيُبَرِّئَهُمْ هذا الأمر ذاته بوضوح: إنَّ إله الكُلّ يُريد من الإنسان الثابت والرَّاسخ، والذي يعرف أن يعيش حياة مقدَّسة وقد وَصَل إلى ما يستحق أعلى مديح لأجل تعقُّله في السلوك، يريد من هذا الإنسان أن يكون مُخْلِصًا في اتِّبَاعِ مشيئته، لكن حينما يُدعَى أي واحد إلى التوبة حتى إنّ كان من الذين يعيشون **حياة ملومة جدًّا**، فإنَّهُ ينبغي بالحري أن يفرح **ولا يكون عنده غيظ** مُضاد للمحبة من جهة التائبين.

لأنَّنا نحنُ أحيانًا نختبر شيئًا من هذا النوع فهناك بعض الذين يعيشون حياة كاملة مُكرَّمة ثابتة، ويمارسون كُل نوع من أعمال الفضيلة، ويمتنعون عن كُلِّ شيء مخالف لشريعة **الله**، ويتوَّجُون بمديح كامل في نظر **الله** والناس، بينما البعض الآخر ربما **يكونون ضعفاء عاثرين، ومنحطّين إلى كُلّ نوع من الشَّر ومذنبين بأفعال رديئة، مُحبين للدَنس والطمع ومُلَوَّثينَ بكل إثم**. ومع ذلك يحدث كثيرًا أنْ يرجع أحد هؤلاء إلى **الله** في سنّ متقدم، ويطلب غفران خطاياه السَّابقة: إنَّهُ يُصَلِّي طالبًا الرحمة، وإذ يترك عنه إستعداده للسقوط في الخطية، وتشتعل فيه الرغبة للحياة الفاضلة، أو ربما حينما يوشك على الاقتراب من نهاية حياته، فإنَّه يطلب المعموديّة الإلهيَّة [1] ويغتسل من خطاياه تاركًا شروره، فإنَّ **الله** يكون رحيمًا به. وقد يحدث أحيانًا أن يتذمَّر بعض الأشخاص من هذا، بل ويقولون: «**هذا الإنسان الذي كان مذنبًا بكذا وكذا من الأعمال الشِّريرة، وقد تكلَّم بكذا وكذا من الكلمات، هذا الإنسان لم يَفِ دَيْنَ سلوكِهِ الرديء أمام قاضي العدل، بل إنَّهُ حُسِبَ أهلًا لنعمة سامية وعجيبة، وقد حُسِبَ بين أبناءِ الله، وَكُرِّمَ بمجد القديسين**». مثل هذه الشكوى ينطق بها الناس أحيانًا نتيجة **ضيق العقل الفارغ**. وشكواهم لا تتفق مع غرض أب الجميع. لأنَّ **الآب** يفرح فرحًا عظيمًا حينما يرى الذين كانوا ضالين يحصلون على الخلاص، وهو يرفعهم ثانية إلى ما كانوا عليه في البداية، **مانحهم ثياب الحريَّة مُزَيِّنًا إيَّاهم بالحُلَّة الأولى**، ويضع خاتمًا في يد كُلِّ منهم، أي السلوك باستقامة الذي يُرضي **الله** ويليق بالأحرار.

لذلك فإنَّ واجبنا أن نُخضِع أنفسنا لما يريده الله، لأنَّهُ يشفي الذين هم مرضَى، وهو يرفع السَّاقطين، ويمدّ يده بالمعونة للذين يعثرون، ويردّ إليه الذين ابتعدوا عنه، وهو يُشَكِّل من جديد في شكل حياة ممدوحة وبلا لوم أولئك الذين **كانوا يتمرَّغون في وحل الخطية**، إنَّهُ يفتِّش عن أولئك الذين ضَلُّوا، وهو يقيم من الموت الذين كانوا يُعانون من الموت الرُّوحي.

دعونا نفرح أيضًا، هيَّا نفرح، مع الملائكة القديسين ونسبِّح الله لأنه صالح ومُحبٌّ للبشر، ولأنه رحيم ولا يذكر الشَّر، لأنَّهُ إنْ كُنَّا نفكِّر هكذا فالمسيح سوف يقبلنا، الذي به ومعه لله الآب كُلّ تسبيح وسيادة مع الرُّوح القُدُس إلى دهر الداهور. آمين.

١) كانت عادة تأجيل المعموديَّة إلى ما قبل الوفاة مباشرة، حِرصًا على عدم الوقوع في الخطية بعد المعموديَّة، هي عادة منتشرة عند البعض في القرون الأولى، وقد واجهت الكنيسة هذه العادة الخاطئة وأوضحت أنَّ الخطية التي يقع فيها الإنسان بعد معموديَّته يمكن أنْ تُغفر بالتوبة والاعتراف.

السيد پَنايوتيس نيكولاكوبولوس، ڤيرتيا پاترون في اليونان، يقول.

ابنُ أخي يُدعَى نيقولاوس عمره سبع سنوات، قبل خمس سنوات حيث كان عمره سنتين ونصف تقريبًا، كان مريضًا بسبب وَرَمٍ في رأسه.

أقرَّ الأطباء إجراء عمليّة جراحيَّة لاستأصال الورم من مكانه، في ذلك اليوم، يوم إجراء العمليّة، تقدمت إحدى السيّدات التقيات وأعطتنا الميرون المقدَّس الذي يفيض من أيقونة العذراء مريم في ديرها العامر ماليقي في أركاديا في اليونان. دهنا الطفل بالميرون قبل دخوله الى العملية الجراحيَّة.

بعد انتهاء العمليَّة الجراحيَّة، قال لنا الطبيب المختص: أنَّ الطفل نيقولاوس سيعيش فقط لفترة قصيرة أقصاها ثمانية أشهر. لأنَّ الورم ملاصقٌ للشرايين التي تغذِّي العينين، فقمنا باستأصال أكبر جزءٍ ممكن من الورم مع الشريان الذي يغذي إحدى العينين، وتركنا الشريان الآخر ليتسنى للطفل نيقولاوس أن يرى خلال الثمانية الأشهر المتبقية له من العيش.

لقدكان الطفل مَلاكًا صغيرًا، كنتُ أُصلِّي ليلًا ونهارًا، واتضرَّع إلى والدة الإله أن تعطيه الصحة التَّامة. وفي إحدى الليالي وأنا أغُطُّ بالنَّوم، رأيتُ إمرأة جميلة وطويلة بشموخ، قالت لي: « أطلب منكَ هذه المهمة، أن تذهب إلى ديري العامر في ماليقي لنوال البرَكَةِ بعد أَداء القداس لإلهي هناك في الدير المقدَّس.»

وللتوّ نهضتُ من النوم، وابتدأنا بتنفيذ هذه المهمة وكُنَّا قرابة العشرة أشخاص من أبناء العائلة، وابتدأنا بالسفر نحو دير ماليقي العامر.

في تلك الليلة لم نَرقُد بتاتًا. وصلنا أولًا إلى مدينة تريپولي بواسطة سيارة أجرة. ومن مدينة تريپولي ابتدأنا بالسير على الأقدام نحو دير ماليقي العامر للروم الأرثُوذكس الذي يبعد قرابة ٤١ كم عن مدينة تريپولي.

لكن الجمع الذي يرافقني كانوا خائفين بسبب بُعد المسافة، والسير ليلًا في منطقة وَعِرة للغاية، حيث الطريق ضيّقة وطويلة. لكن العذراء أعطتنا الطيب المقدّس وهي التي طلبت منَّا أن نأتي إلى ديرها في ماليقي، فهي الشفيعة الحارَّة التي ترافقنا في كلّ خطواتنا. فإنَّ رائحة الطيب كانت تغمرنا بشذاها الفريد، التي ملئتنا شجاعة وقوَّة، هذا يعني أنَّ العذراء معنا، وأنَّ الطفل نيقولاوس سيحظى بالصحة التامة، هكذا آمنا وهكذا كان لنا اليقين الثابت.

ونحن نسير في الطريق، كنتُ أُصَلِّي وأطلب من العذراء: «أنت يا عذراءنا جميعًا، طلبت منِّي أن نأتي إلى هنا لنقوم بمراسيم القداس الإلهي في ديرك شفاعةً للطفل نيقولاوس، وانتِ رحَّبتِ بنا ، بإعطائنا الطيب المُقَدَّس». وصلنا الدير المقدّس وأقمنا القداس الإلهي كما طُلِبَ منَّا.

إنَّ عمل العذراء عظيمٌ وعجيب وشفاعتها وعطاؤها لا يوصَفان، لقد أغرقتنا بالطيب المقدَّس، فبكينا نحنُ جميعًا من شدَّة الفرح، فالعجيبة قد حصلت. مرَّت الثمانية أشهر، لا بل مضت ستُّ سنوات، ونيقولاوس في تمام الصحَّة.

عُدنا ثانية كالمرّة الأولى من مدينة تريپولي الى الدير برفق نيقولاوس الذي بلغ من العمر قرابة السبع سنوات، لِيُقَدِّم وإيَّانا الشكّر والتمجيد الحارّ، لوالدة الإله الشفيعة التي لا تغفل عن العطاء والحنان والمعونة.

الفصل السادس عشر

فوقفَ نكتاريوس في مكانه وقد أحسَّ ببعض الانزعاج، وأجاب:

– « إنَّ الحياة على الأرض يا صديقي العزيز عبارة عن فترة زمنيَّة من التَطَهُّر. ولا معنى لها اطلاقًا من دون سيِّدنا يسوع المسيح. فإذا سَلَّمتَ بهذا الواقع، فلا يمكنك أن تضَع لنفسك حدودًا وتقول: سألتزم هذه الحدود ولن أتخطاها. وكيفما عاينتَ الحياة فستجد أنَّ لها صفات شتَّى، ولكنها ليست معقولة!»

ولحُسن الحظّ أنَّ نكتاريوس كان يملك جبّة أُخرى متوسطة الحال، فارتداها وطَوَى الحادثة النسيان.

كانت الأيام والشهور والسنوات تمرّ. وهذه الكأس، الكأس المُحيية والمملوءة بالمرارة ، لم تبتعد بعد.

فمن ناحية تغيَّرت عقليَّة الطلاب عمليًّا. ولم يعودوا كما كانوا. واعتادوا كلّهم تقريبًا السير على درب الرَّبّ ... ومن ناحية أُخرى لم تتوقَّف إدارة المدرسة ولا مجمع أثينا المقدَّس عن إقلاق راحة هذا الأُسقُف المَنْفِيِّ، وعن تشويه سمعته بالأقاويل المختلفة ولا لحظة واحدة.

أمَّا هو فكان مستعدًّا دائمًا لأن يُوْدِعَ روحه عند الله، ويموت في سبيل الإيمان المقدَّس. وكان يُسلِّم أمرَهُ بالكليَّة إلى العناية الإلهيَّة. ولو أنَّهُ كان مثلنا، مثل ذوي النفوس الصغيرة، نحن الذين نفتِّش عن خبزنا اليومي الهدوء والأَمان، لكان استسلم حتمًا وتعرَّضَ للانهيار العصبي، أو حتى للجنون.

وفي مساء أحد الأيام قال له **ثيوكليطس مينوبولوس، متروبوليت أثينا الجديد** الذي خَلَفَ **بروكوبيوس**، وقد التقاه أمام مكاتب المجمع المقدَّس:

– « يجب أن تضع حدًّا نهائيًّا لهذه المشكلات التي مازالت عالقة. فإنِّي أراكَ هادئًا ولا تُحَرِّك ساكنًا. وحتى لو أردنا انتخابك متروبوليتًا لوجدنا ذلك كثير الصعوبة بسبب المشكلة التي تواجهها مع بطريركيّتك».

وفي تشرين الأوَّل من العام 1902 تصاعدت وتيرة الإشاعات حول نكتاريوس، وكان وراءها بعض الكهنة الذين أزعجهم التَّقدُّم الذي حقَّقَتهُ المدرسة.

ولم تَكُن أوراق نكتاريوس القانونيَّة كاملة لا فيما يخصّ الجنسيَّة، ولا لأسباب أُخرى غيرها. فوَجَدَ نفسه مُجبرًا على الكتابة إلى فوتيوس بطريرك الإسكندريَّة الجديد. وكان عليه أن يشرح له في هذه الرسالة قصته كلّها منذ البداية، وبكلّ تفاصيلها. كما وجدَ نفسه مضطرًا للكلام على بَدل أتعابه التي حُرِمَ منها ظُلمًا. ومما جاء في الرسالة:

«...أُرسلُ إلى قداستكم رِزمَة القرارات الثلاثة التي صدرت عن أبينا وبطريركنا صُفرونيوس، ويحمل الأوّل تاريخ القاهرة في ٣ أيَّار ١٨٩٠ ، والثاني والثالث الإسكندريَّة في ١١ تموز ١٨٩٠. وفي هذه القرارات وَضَعَ البطريرك حدًّا لِمَهامي، ونزَعَ عنِّي المسؤوليات التي كنتُ مُكَلَّفًا بها، وحذَفني من الإكليروس التابع له. كما طَرَدَني من مصرَ دون محاكمة ودون أن يعطيني حقّ الدفاع عن نفسي، ودون سبب، كما يبدو لكَ من هذه القرارات المرفقَة بالرسالة. لقد كان قراره هذا يا صاحب السيادة مخالفًا للعرف الكنسي، ومنافيًا للقوانين الإكليريكيَّة، كما كان ظالمًا وتعسفيًّا. فبمجرَّد قرار مخالف للنظام ولا يحتوي على أيَّة إيضاحات، يتمّ طرد أُسقف مُسَجَّل في السِّجل الرسمي، بعد أن عَمِلَ طويلًا وبكلّ قواه. فهل هناك ما هو أظلَمُ وأكثر تَعَسُّفًا؟

وقد كتبَ صفرونيوس في القرار الصادر بتاريخ ١١ تموز ١٨٩٠ : «... وبما أنَّ جميع الحسابات والأتعاب العائدة إلى قداستكم بفضل المنصب الذي شغلته قد سُوِّيَت، فإنَّ الكرسي البطريركي لا يدين لكم بشيء بعد الآن».

ولم يحدِّد البطريرك بصورة واضحة التاريخ الذي كان يجب أن أبدأ فيه بتقاضي بدل أتعابي. كما لم يُحدِّد بالضبط تاريخ نهاية حقِّي في تقاضي هذه الأتعاب. وقد تظنّ قداستكم بأنَّ هذا التاريخ هو نفسه الذي أُقلتُ فيه من منصبي. للأسف لا، فبحسب البطريرك الذي لا يرتكز على أي أساس، لقد أنتهتُ حقوقي بتقاضي بدل الأتعاب يوم سيامتي أُسقفًا. ولهذا السبب فقد رَفَضَ أن يُسَدِّد لي ستة عشر راتبًا شهريًّا بدءًا من تاريخ سيامتي وحتى تَنحِيَتي من منصبي، بحجَّة الصعوبات الماديَّة. وفي جميع الأحوال فإنَّكَ تجد التاريخ الذي توقَّفتُ فيه عن قبض بدل أتعابي مُدَوَّنًا في دفتر البطريرك. وقد امتَثلتُ لإرادته بسبب احترامي الكامل لشخصه المقدَّس، ولأنَّني أردتُ المحافظة على السَّلام الرُّوحي. وبعد أن اشتكيتُ من هذا الظُّلم دون أن أَتلقَى جوابًا، تركتُ مصرَ على أمل أن يُحكَم لي بالعدل في اليوم الذي يقرِّرُه الرَّبّ! وأعتقد بأنَّ هذا اليوم قد حَلَّ بوصول قداستكم. لذلك أرجو من قداستكم أن تحكموا لي بالعدل، وتعترفوا بي أُسقُفًا في الكرسي البطريركي التابع لكم، وأن تَعْلِمُوني بقراركم العادل.

«وأملي وطيدٌ بأنَّ قداستكم سوف تتنازلون وتحكمون لي بالعدل وتسوّون أوضاعي. وأرجو أن تقبلوا سلفًا عرفاني بجميلكم، ولكم منِّي وافر الاحترام ...».

ثمَّ أنهى رسالتَهُ بعبارة المجاملة والطَّاعة المعهودة، وعندما ذَيَّلَها بتوقيعه أحسَّ براحةٍ نفسيَّة عميقة.

(التتمة في العدد القادم)

... أأنتم خَطَأَةٌ؟ لا تيأسوا!

فأنا أصرُّ على أن أُقدِّم لكم الرجاء كدواء وكأفضل علاج لضعفكم، لأني أعرف إلى أيِّ مدى يمكن للثقة المستمرة والرجاء في الله أن تكون سلاحًا فعَّالًا **مقابل الشيطان**. لَنْ أكفَّ عن أنْ أُكرِّر لكم أنه **إذا أخطأتم لا تسقطوا في اليأس. إنْ أخطأتم كل يوم، فتوبوا كل يوم!**

أسألكم سؤالًا فقولوا لي: ماذا نفعل عندما تتهدَّم مبانينا القديمة؟ ألا نضع جانبًا الأشياء المتهدِّمة لنُقيم بدلًا منها الجديد؟ ولا ندَّخر الجهد في بذل كل اهتمامنا لهذا الأعمار. فليكن لنا مِثل هذا بالنسبة لأنفسنا، **فإنْ خضعتم في الخطية، فجدِّدوا أنفسكم بالتوبة.**

ستقول لي: كل حياتي وأنا واقع تحت **سطوة الخطية**؛ وأنت تقول لي الآن: إذا أنت قدَّمتَ توبة، فستجد الخلاص والعِتْق!

– **نعم بكل تأكيد.**

وإذا سألتني: مِن أين لك هذه الثقة؟

– أقول لك: من مراحم الله تجاه البشر.

لا تفتكروا أنني أبني ثقتي هذه فقط على توبتكم، لأنني أعرف أنها لا تَقْوَى على طرد **كل الشرور** من القلب. إذا كانت لا توجد غير التوبة فقط لكان يحقُّ لكم **أن تكونوا قلقين!** أما إذا كان صلاح الله هو أساس اعتمادنا، فيجب أن تثقوا. فمراحم الله نحونا لانهائية، بل أقول أيضًا إنها تفوق كل تعبير.

إنَّ **ضعفاتكم محدودة**، أما علاجها فليس له حدود؛ حتى وإن كانت أخطاؤكم لا تُحصَى، فهي لا تزيد عن كونها **أخطاءً بشريَّة**، وهي لا تُقاس إزاء صلاح الله اللانهائي. فليكن لكم ثقة في الله، لأنَّ التوبة ستنتصر على **رذائلكم**.

تخيَّلوا شُعلة سقطت في البحر، هل يمكنها بعد ذلك أن تظل مشتعلة؟!

إنَّ **خطاياكم ستتلاشى** عندما تتلامس مع صلاح الله مثل انطفاء الشعلة إذا لامست الماء؛ بل إن المحيط رغم اتساعه فله حدود، أمَّا المراحم الإلهية فهي غير محدودة ...

«حاسب نفسك لكي تتبرَّر» (إش ٤٣: ٢٦)، يا لَلْصَّلاحِ الإلهي!

إنَّ الرَّبّ لم يَقُلْ: «... **لكي تهربوا من العقوبة**»، ولكن قال: «... لكي تتبرَّر».

أَمَا كان يكفي ألَّا تُعاقبه حتى أنك تُبرِّره أيضًا؟ بالتأكيد.

لكن اسمعوا بالأَوْلى: أين نجد مثالاً لمثل هذا التبرير؟

بالنسبة للص اليمين: لقد صار كافيًا له أن يقول لرفيقه: «أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا»؛ لكي يسمع هذه الكلمات من يسوع: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ». (لو ٢٣: ٤٣). إنه لم يَعِدْه بأن يُجنِّبه كل ملامة وكل عقاب؛ بل دفعة واحدة، اقتاده مُبرَّراً إلى الفردوس.

هل لاحظتم أنَّ اللِّص قد تبرَّر بفضل اعترافه عن خطاياه؟

إنَّ الإحسان الإلهي نحو البشر عظيم جدًّا. إنه لم يُشفق على ابنه الخاص لكي يُشفق على العبد. لقد سلَّم ابنه الوحيد لكي يفتدي **العبيد الجاحدين**، وسَفَكَ دمه ثمنًا **لهم**.

يا لَلْإحسان الإلهي! أرجوكم لا تعودوا تحتجُّون بقولكم: **لقد أخطأتُ كثيرًا** فكيف يمكن أن أخلُص؟

لأن ما لا تستطيعون أن تعملوه، **فالله** يستطيع، وقدرته قادرة حتى إلى محو كل خطاياكم.

انتبهوا لِمَا سأقوله: **الله** يمحو **خطاياكم** بحيث إنه لا يعود يتبقَّى لها أي أثر.

مثل هذه الأعجوبة لا توجد في الطبيعة؛ فالطبيب يستطيع أن يُظهِر

كل مهارته وحِذْقِهِ لكي يُعالج جرحًا، ومع ذلك لن يصل لمحو كل أَثَر لذلك الجرح.

تخيلوا مثلًا أنَّ رَجُلًا ضُرِبَ على عَينيهِ عدة مرات، فحتى ولو كل مرة اعتنى بجرحه فمع ذلك ستبقى هناك ندبة، وهذه الندبة ستكون علامة بعد ذلك على الجرح القديم. نعم سيبذل الطبيب قصارى جهده لكي يمحو هذه الندبة ولكنه لن يستطيع، لأنه سيصطدم دائمًا بضعف الطبيعة، هذا إلى جانب محدودية علمه وأدويته. أمَّا الله، فإنه يمحو كل الخطايا ويفعل هذا بحيث لا يترك أي أثر لأية ندبة، ويحرِّر النَّفس من كل شَرٍّ ويجعلها تستعيد جمالها الأصلي، والرَّبّ يقدِّم لها كل بِرِّهِ لكي يجنِّبها كل عقوبة، وفي النهاية يجعل الخاطئ من كل الأوجه مماثلًا لمن لم يخطئ، وبالإجمال تختفي تمامًا وكأنَّها لم توجد قط، فلا ندبة على الإطلاق ولا أثر ولا شاهد ولا دليل.

الله أب ممتلئ حنانًا، وهو الصالح وحده، وأحشاؤه تتحرَّك أكثر من أي أبٍ.

فلكي تفهموا حسنًا أنه يتصرف كأب، فقد وضع هذا السؤال لأولاده:

– ماذا سأفعل **يا يهوذا؟**

+ ألا تعرف ماذا ستفعل **يا ربّ؟**

– نعم أنا أعرف، لكن لا أستطيع أن أَعمد إلى هذا! فثقل الخطايا يتطلَّب عقوبة لا تتفق مع عِظَم إحساني تجاه البشر.

– فماذا سأفعل، إذن؟ هل يجب أن أُسامحكم؟ لكن هذا سيزيد عدم اكتراثكم!

– هل يجب أن أُلاحقكم بغضبي؟ صلاحي يمنعني!

– فما العمل؟ هل أُعاملكم كسدوم؟ هل أفنيكم كعمورة؟ ينقلب عليَّ قلبي!

(مستوحاة من نبوَّة هوشع النبي)

مع أنَّ الله فوق الأحاسيس البشرية إلَّا أنه يستعير هنا أحاسيس الإنسان ويُظهِر حنانًا يفوق حنان الأم: «قلبي انقلب عليَّ».

فالأُم لا تتكلَّم بغير هذا عن طفلها. لكن الله لم يقنع بأن يذكر انقلاب قلبه اللائق بالأمومة، بل يُضيف أيضًا: «قد انقلب عليَّ قلبي. اضطرمت مراحمي جميعًا» (هوشع ١١: ٨).

هل اضطرب الله حقًّا؟ لا، فاللاهوت فوق هذه الانفعالات، ولكن – كما قلتُ – إنه يستعير لغتنا:

– «لقد انقلب عليَّ قلبي، فاغتسلوا وتنقَّوا! لنعُدْ إلى وعدي».

لقد أكَّدتُ لكم أنَّ الله يشفي **الخَطَأَة، البشر المحمَّلين بخطايا لا تُعدُّ والشبيهة بالقروح.** بمجرَّد أنْ يتوبوا لا يبقى هناك أيُّ أثر أو ندبة أو علامة تدلُّ على موضع الجرح: «اغتسلوا، تنقَّوا، اعزلوا شرَّ أفعالكم من أمام عينيَّ... تعلَّموا فِعْل الخير» (إش ١: ١٦،١٧).

ماذا تعني بـ « فعل الخير»؟

«اطلبوا الحقَّ، انصِفوا المظلوم، اقضُوا لليتيم، حامُوا عن الأرملة» (إش ١: ١٧).

هذه التوصيات ليس فيها أي تثقيل، هي تبدو متوافقة مع الطبيعة، لأن هذه الحالات تُثير الشفقة حقًّا.

يقول الرَّبّ: «هَلُمَّ نتحاجج» (إش ١: ١٨)، ابذلوا بعض الجهد من جانبكم وأنا سأُرتِّب الباقي. أعطوني حتى ولو شيئًا قليلًا وأنا سأمنحكم الكثير.

هلمَّ إذن! لكن إلى أين؟ هلموا إليَّ أنا الذي **أسخطتموني وضايقتموني.** إليَّ أنا الذي قلتُ لكم إنني لا أسمعكم، راجياً بذلك أنَّ الخوف المتولِّد من التهديد يقتادكم لتبديد غضبي.

اذهبوا لِمَنْ لا يسمعكم لكي يسمعكم؛ ولكن ماذا ستفعل؟

لن أترك فيكم أيَّ أثر أو ندبة أو علامة على جُرحٍ قديم:

«هلمَّ نتحاجج، يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقِرْمِز تَبْيَضُّ كالثلج» (إش ١: ١٨).

أهكذا بلا ندبة؟ بلا غَضَنٍ، أمع هذا البهاء من النقاوة؟!

«إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيضُّ كالثلج».

أأنقياء بدون أيِّ دنس؟! كيف سيصير هذا؟ إنها كلمات الرَّبّ نفسه: هل وعدتكم بخلاف هذا؟

هكذا استطعتم أن تُدركوا عظمة مواعيد الله من جهةٍ؛ ومن جهةٍ أخرى، كمال الله الذي يُسبغه علينا.

كل شيء مستطاع لله، إنه قادر على تطهير الإنسان حتى ولو كان **كله نجاسة.**

فلنتقوَّ بهذه التعاليم ونزددْ نضوجًا بمعرفة هذا الدواء، أعني **التوبة.**

وَلْنُقدِّمْ له السجود اللائق، لأن له القوة والمجد إلى دهر الدهور، آمين.

« اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسونه مجمرة، ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرَّديئة، وتضعونها أمام الرَّبّ، وتطلبون منه أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهيوليَّة من العلىإليكم، لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها ».

القديس أنطونيوس الكبير _ الرسالة ٦

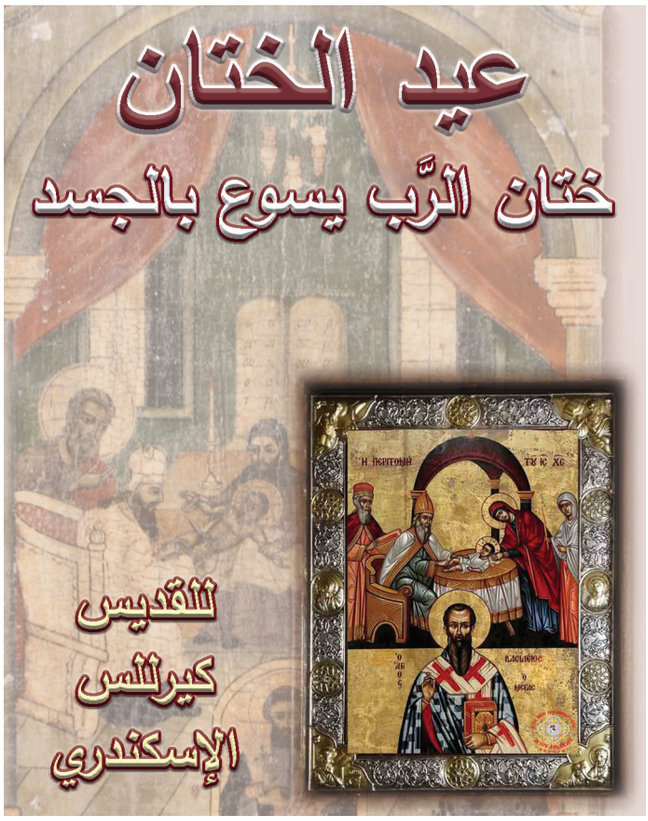

« وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ «الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ.» (لو٢: ٢١-٢٤)

الجمع الذي اجتَمَعَ هنا كثيرٌ جدًّا، والسامعون شغوفون. فنحن نرى الكنيسة ممتلئة. ولكن المعلّم فقير. ومع ذلك فالذي يُعطي الإنسان فمًا ولسانًا، سوف ينعم علينا بأفكار صالحة. إذ يقول الرَّبّ نفسه فى مكان ما «افغر فاك وأنا أملأه» (مز٨١: ١٠) حيث إنَّكُم جميعًا قد اجتمعتم معًا باهتمام في مناسبة هذا العيد المُبهج الذي للرَّبّ، لذلك فلنحتفل بالعيد بمشاعر البهجة وبأنوار ساطعة، ولنُشغل أنفسنا بالتفكير فيما تحقَّق في هذا اليوم بطريقة إلهية، جامعين لأنفسنا من كل ناحية ما يُثبِّتنا في الإيمان والتقوى.

منذ فترة وجيزة رأينا عمانوئيل مضطجعًا فى المذود وملفوفًا بشكل بَشَريٍّ في الأقماط، ولكنه مُجِّدَ كإله بتسابيح جمهور الملائكة القديسين، لأنهم بشَّروا الرُّعاة بميلاده إذ أنَّ الله الآب قد منح لسكان السماء الامتياز الخاص بأن يكونوا أوَّل من يُبشِّر به. اليوم أيضًا نراه مُطيعًا لقوانين موسى، أو بالأحرى قد رأيناه الذي هو المُشرِّع يخضع لقوانينه التي شرّعها. والسبب في هذا يعلِّمنا إيَّاه بولس الحكيم جدًّا بقوله: «لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ، كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ... وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ» (غل٤: ٣-٥).

لذلك، فالمسيح افتدى من لعنة الناموس أولئك الذين بوجودهم تحت الناموس كانوا عاجزين عن تتميم قوانينه. وبأي طريقة افتداهم؟ بتتميم الناموس أو بعبارة أخرى: إنَّهُ لِكَي يُكَفِّر عن **ذنب معصية آدم**، فقد اظهر نفسه مطيعًا وخاضعًا من كل الوجوه لله الآب عوضًا عنه، لأنه مكتوب:«لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا.» (رو ٥: ٩). لذلك فقد أَحْنَى عنقه للناموس مشتركًا معنا. لأنَّ هذا ما استلزمته خطة الخلاص. لأنَّهُ هكذا يليق به أن يُكَمِّل كُلَّ بِرٍّ. لأنَّهُ إذ قد اتخذ صورة عبد، وقد حُسب بين أولئك الخاضعين للنِّير بسبب طبيعته البشرية، بل إنَّهُ مَرَّةً دفع نصف الشاقل للذين يجمعون الجزية، رغم أنَّهُ حُرٌّ بالطبيعة. قال يسوع لبطرس:«مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟» (مت ١٧: ٢٥) وكابْنٍ لم يكن مفروضًا عليه أن يدفع ضريبة.

لذلك حينما تراه يحفظ الناموس، فلا تتعثَّر، ولا تضع الحُرَّ بين العبيد، بل بالحريّ تأمَّل في عُمقِ تدبير الخلاص. لذلك فعند وصول اليوم الثامن، الذى جرت العادة أن يتم فيه الختان في الجسد بحسب أَمْرِ الناموس، نجده يُسّمى باسم يسوع الذى تفسيره يشير إلى خلاص الشعب. لأنَّهُ هكذا أراد الله الآب أنْ يُسَمِّي ابنه، حينما يولد من امرأة. لأنَّهُ عندئذٍ صار خلاص الشعب بنوع خاص، وليس خلاصًا واحدًا فقط، بل كثيرين، وبالحريّ كُلّ الشعب بل والعالم كله. إذن فقد أخذ اسمه في نفس الوقت الذي خُتِنَ فِيهِ.

ولكن تعالوا ودعونا نفتش ونرى، ما هو اللُّغز، وما هي الأسرار التي يقودنا إليها هذا الحادث. لقد قال بولس المبارك: «لَيْسَ الْخِتَانُ شَيْئًا، وَلَيْسَتِ الْغُرْلَةُ شَيْئًا» (١كو٧: ١٩). وربما يعترض البعض على هذا قائلين هل أَمَرَ إله الكُلّ بواسطة موسى الحكيم . بشيء لكي يُحفَظ برغم أنَّهُ لا قيمة له، بل ويصحب الأمر بهذا الشيء عقابًا على الذين يخالفون هذا الأمر؟ أقول نعم لأنَّهُ فيما يخص طبيعة ذلك الشيء الذي يَتِمُّ في الجسد فهو ليس شيئًا، ومع ذلك فهو يحمل مثالًا جميلًا للسِّرِّ، أو بالحريّ يحتوى على المعنى الخفيّ لإظهار الحقِّ لأنَّ المسيح قام من بين الأموات في اليوم الثامن (**يقصد باليوم الثامن أنَّهُ الأحد الذى بعد سبعة أيام الأسبوع أي بعد السبت الذى كان فيه جسد الرَّبّ فى القبر**)، وأعطانا الخِتَانَ الرُّوحيّ. لأنَّهُ أَوْصَى الرُّسل قائلًا:«فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (متى٢٨: ١٩). ونحن نُؤَكِّد أنَّ الخِتَانَ الرُّوحيّ يتمُّ بصورة رئيسية في وقت **المعمودية المقدسة** حينما يجعلنا المسيح مشتركين في الرُّوح القُدُس. وقد كان يشوع القديم الذي جاء بعد موسى مِثَالًا أيضًا لهذا. لأنَّهُ قاد بَنِي إسرائيل أولًا عَبْرَ الأردن، وبعد ذلك مباشرة ختنهم بسكاكين من صوان. هكذا نحن حينما نَعْبُر الأردن (بالمعموديَّة) فإنَّ المسيح يختننا بقوَّة الرُّوح القُدُس، ليس لتطهير الجسد، بَلْ بالحريّ **لقطع النجاسة** التي **في نفوسنا**.

لذلك خُتِنَ المسيح فى اليوم الثامن وأخذ اسمه كما قلت، لأنه حينئذٍ خلّصنا بواسطته وفيه كما هو مكتوب « وَبِهِ أَيْضاً خُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ.

مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ» (كولوسي ٢:١١)، لذلك فإنَّ موتَهُ كان مِنْ أجلنا. وهكذا أيضًا كانت **قيامته** وكان **ختانه**. لأنه قد مات حتى أنَّنا نحن الَّذين مُتْنَا معه في **موتِهِ** **لأجل الخطية**، لا نعود نحيا **للخطية**. ولهذا السبب قيل: «أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ.» (٢تي٢:١١). وقد قيل أنَّهُ قد مات لأجل **الخطية** ليس لأنه قد اخطأ، « الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بط٢:٢٢). بل **بسبب خطيتنا**. لذلك فكما **مُتْنَا** معه حينما **مات**، هكذا أيضًا **نقوم** معه **(بقيامته)**.

وأيضًا، حينما كان الابن حاضرًا بيننا، فرغم أنَّهُ هو **بالطبيعة الله وربُّ الكُلّ**، فإنَّهُ لا يحتقر حالتنا بسبب ذلك، بل يُخضِع نفسه معنا لنفس الناموس، رغم أنَّهُ **كإله** كان هو نفسه مُشَرِّع **الناموس**. وقد خُتِنَ – مثل اليهود– في سِنِّ ثمانية أيام لكي يبرهن على خروجه من نفس أصلهم. وذلك لكي **لا يُنكروه**. لأنَّ **المسيح** كان هو من نسل **داود** المنتظر، وقدَّم لهم البُرهان على هذه العلاقة. ولكن إن كان رغم ختانه يقولون عنه: « وَأَمَّا هذَا الإِنْسَانَ فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ» (يو ٩:٢٩). فربما كان يصير لهم بعض العذر في إنكارهم، لو لم يكن قد **خُتِنَ** في الجسد وحفظ **الناموس**.

ولكن بعد ختانه أبطل طقس **الختان** بمجيء ما كان يُرْمَزُ لَهُ وأَعْنِي به، **المعمودية**. ولهذا السبب فإنَّنا لم نعد **نُختَتَنُ**. لأنَّهُ يبدو لي أنَّ **الختان** قد حقَّقَ ثلاثة أغراض: **فأولًا**: إنَّهُ أَفْرَزَ نسل إبراهيم بنوع من العلاقة **والختم**، وميَّزهم عن باقي الشُّعوب. **وثانيًا**، أنَّهُ كان يُشير مُقَدَّمًا إلى نعمة وفاعلية المعمودية الإلهية، لأنَّه كما كان في القديم، يُحسب المختون ضمن شعب **الله** بواسطة ذلك **الختم**، هكذا أيضًا فإن من **يَعْتَمِد** يُدرج ضمن عائلة **الله** بالتبنيّ، إذ قد تَصَوَّرَ في نفسه **المسيح** **الختم**. **وثالثًا**، أنَّهُ رَمْزٌ للمؤمنين حينما يتأسَّسُون في النعمة، حينما **يقطعون ويميتون شغب اللذات الجسدية والشهوات** **بسكين الإيمان** **اَلْحَادّ وبأعمال النّسك**، وهم لا يقطعون الجسد، بَلْ يُنَقُّونَ القلب ويصيرون مختونين **بالرُّوح القُدُس** **وليس بالحرف**، الذي **(الختان)** مدحه ليس من الناس بل من فَوْق كما يشهد **بولس الإلهي** (انظر رو٢:٢٩).

وبعد ختانه تنتظر **العذراء** إلى وقت تطهيرها، وحينما تكتَمِل الأيام وتَصل إلى ملء الأربعين يومًا، فإنَّ **الله الكلمة** الجالس على عرش **الآب**، يُحمَل إلى أورشليم، ويأتون به إلى حضرة **الآب** بطبيعة بشريَّة مثلنا وبواسطة ظلِّ الناموس يُحسَب في عداد الأبكار. لأنه منذ قَبْلِ التجَسُّد كان الأبكار مقدَّسين، ومكرَّسين **لله**، وَيُقَدَّمونَ **لله** بحسب الناموس. آه! كم هو عظيمٌ وعجيبٌ تدبير الخلاص! «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ!» (رو١١:٣٣). فإنَّ ذلك الذي هو في حضن **الآب**، **الابن** المُشارك له في عَرْشِهِ والمُساوي له في الأزليَّة، الذي به خُلِقَت كُلّ الأشياء في الوجود، نراهُ رغم ذلك يخضع لمقياس الطبيعة البشريَّة، بل ويُقَدَّم كتقدمة **لأبيه** رغمَ أنَّهُ يُكَرَّم وَيُمَجَّد معه من الجميع. وماذا قَدَّمَ ؟ إنَّهُ كَبِكر وذَكَر قَدَّمَ زوج يمام أو فَرْخَي حمام حسب أَمْرِ النَّاموس. ولكن إلى ماذا يُشير اليمام ؟ وأيضًا إلى ماذا يُشير الحمام ؟ تعالوا إذن ودعونا نبحث هذا الأمر، فالواحد منهم هو أكثر طيور الحقل في إصدارها للأصوات، أمَّا الآخر فهو مخلوق هادىء ووديع. هكذا صارَ مخلِّص الكُلّ بالنسبة لنا مُظهرًا أكمل وداعة ولُطف نحونا. وأيضًا مثل اليمام، فإنَّهُ يهدىء العالم، ويملأ حقله الخاص الذي هو نحن المؤمنين به بنغم صوته العذب. لأنَّهُ مكتوب في **نشيد الأنشاد**: «وَصَوْتُ الْيَمَامَةِ سُمِعَ فِي أَرْضِنَا» (نش ٢:١٢)، لأنَّ **المسيح** قد كلَّمنا برسالة الإنجيل الإلهيَّة التي هي **لخلاص العالم كلَّه**.

إذن فقد قَدَّمَ اليمام أو الحمام حينما **قُدِّمَ للرَّبّ**. وفي هذا يمكن أن نرَى اَلتقاء الحقيقة والرَّمْزِ معًا في نفس الوقت. **والمسيح** قَدَّمَ نفسه رائحة طَيِّبَة **لله**، لكي يُقَدِّمنا نحن بواسطة نفسه وفي ذاته **لله** **الآب**، وهكذا يُلاشي العداوة الناشئة عن **عصيان آدم**، وَيُبطِل **الخطية** التي استعبدتنا جميعًا، لأنَّنا نحن الذين كُنَّا نصرخ منذ زمن طويل قائلين : « اِلْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي» (مز ٢٥:١٦).

شذرات من أقوال القديس كيرلّس الكبير عن ختان الرّب يسوع المسيح

﴿لأن في اليوم الثامن (أي يوم الأحد) قام المسيح من الأموات وأعطانا الختان الرُّوحيّ، وذلك بمقتضى ما أمر به الرسل القديسين: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (متى٢٨:١٩)، ونحن نؤكِّد هنا أن الختان الرُّوحيّ يتم أساسًا في المعمودية، حيث يجعلنا المسيح شركاء أيضًا في الرُّوح القُدُس.﴾

﴿إن الوصية بطقس الختان التي تأمر بأن يعتمد الأطفال في اليوم الثامن، كانت رمزًا أو مثالًا للختان الحقيقيّ للخلاص من الخطية والشَّر، بواسطة قيامة الرب يسوع المسيح من الأموات في اليوم الأول من الأسبوع (الأحد)، الذي بالرغم من بقائه مُعتبرًا الأوَّل لكل الأيام إلَّا أنه يُدعى الثامن (لأنه أتى بعد السبت بحدث جديد فأكمل بعد مرور الأسبوع بسبعة أيامه عملًا لم يدخل أصلًا في حدود الأيام السبعة خصوصًا في أيام الخلقة القديمة).﴾

﴿وعن هذا أيضًا، فإن يشوع القديم، الذي كان قائدًا بعد موسى، هو مثال، فإنه أولًا قاد بني إسرائيل عبر الأردن ثم في الحال توقَّف وختنهم بسكاكين من صوان؛ هكذا نحن بعد أن نعبر الأردن (أي المعمودية) يختننا المسيح بقوَّة الرُّوح القُدُس لا مطهِّرًا الجسد، ولكن قاطعًا بالأحرى **النجاسة أو الفساد** الذي في أنفسنا.﴾

﴿في اليوم الثامن، إذن، اختُتن المسيح وتقبَّل اسمه (يُدعى اسمه يسوع أي المخلِّص). لأنه عندئذ، أي بهذا، خلصنا بواسطته وفيه. كما قيل: «« وَبِهِ أَيْضاً خُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ» (كولوسي٢:١١). أي أنه كما كان موت المسيح من أجلنا وكانت قيامته، كذلك كانت ختانته.﴾

مُقدِّمة الرسالة القاها القديس يوحنا الذهبيّ الفم قبل بدء العظة:

تُعَد مدينة كورنثوس أهَمّ وأبهَى مدُن اليونان في العصور القديمة، وكانت تفتخر بخيراتها الماديَّة الكثيرة التي تميِّزها عن غيرها من المُدن الأخرى، أمَّا ما كانت تتباهَى به أكثر من أيِّ شيء، فهو وفرة مواردها. ومن أجل هذا فإنَّ أحد **الكُتَّاب اليونانيين** (انظر ثيوكودوس ١٣:١)، كان يدعوها بالمنطقة الغنيَّة، لأنَّها كانت تقع عند مضيق **بيلوبونيسوس**، وتحفل بتجارة منتعشة ورائجة. وبالإضافة إلى ذلك كانت المدينة تعجّ **بالشعراء والفلاسفة**، بل إنَّ واحدًا من الذين أُطلق عليهم **الحكماء السبع – باريانْدروس الكورنثوسي** – ، كان ينتمي إلى هذه المدينة. أقولُ لكم هذه الأمور، لا لأجل أنْ أُظهِر لكم مدى تباهي أهلها، ولا لكي أُبيِّن لكم غزارة علمهم. إذًا فما هو الهدف من وراء معرفتنا بتلك الأمور ؟. إنَّها المعرفة التي تُساهم في فهم موضوع **الرِّسالة**. لقد عانَى **الرسول بولس** نفسه الكثير في هذه المدينة، وفيها أيضًا ظَهَرَ له **المسيح**، وقال له: «تكلَّم ولا تسكت لأنَّ لي شعبًا كثيرًا في هذه المدينة» (أع ١٨:٩-١٠). وهناك أقامَ **الرسول بولس** مدّة عامين تقريبًا (١٨ شهرًا). في هذه المدينة **انطلق الشيطان ليُثيرَ الاضطراب** بواسطة اليهود الذين أصابهم الهوس، وأيضًا **قَدَّمَ جميع السحرة الذين كانوا فيها توبة**، وجمعوا جميع كتب السِّحر وحرقوها، وقد قُدِّرت قيمتها **بخمسين ألف من الفضة** (أع ١٩:١٩). أيضًا في أيام **غاليون الوالي**، قام اليهود بنفس واحدة على **بولس** واتوا به إلى كرسيّ الولاية (أع ١٨:١٢).

إذًا فنظرًا لأنَّ **الشيطان** رأى أنَّ (كورنثوس)، مدينة عظيمة، وذات كثافة سكّانيَّة كبيرة، ومثار إعجاب بسبب غِناها وحكمتها، وأنَّها أهم مُدن اليونان، إذ أنَّ أثينا ولكونيَّة كانتا آنذاك في حالة متدنيَّةٍ وبائسةٍ، لأنَّهُمَا فَقَدَتا السلطة لمدة طويلة، وإذ رأى أنَّ كورنثوس تقبَل الحقَّ، وَقَبِلَت **كلمة الله** برغبة وإرادة قويَّة، فقد أثار الإنشقاقات بين الناس، لأنَّهُ كان يعرف أنَّ أقوى مملكة بين جميع الممالك تسقط ولن تستطيع أن تحتفظ بقوَّتها، إذا انقسمت على ذاتها. وعن طريق هذه الوقيعة أو المكيدة، إستخدم غِنَى وحكمة سكان المدينة لإثارة الإنشقاقات. وبسبب هذا انفصَلَ البعض وكَوَّنوا مجموعات مستقلة، وعيَّنوا لهم قادة من بينهم، ورئيسًا لكل جماعة، والتصقَ البعض بهؤلاء، والتصق آخرون بمجموعة أُخرى، باعتبارهم الأكثر ثراءً والأكثر حكمة، وأنَّها تَضُمُّ مُعلِّمين مُقتدرين أكثر من غيرهم. هذا تحديدًا هو ما أشار إليه عندما قال:« لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ» (١كو٣:١)، ويُقرّ بأنَّهم لم يسمعوا كثيرًا، ليس لأنَّ شيئًا كان ينقصه، بل بسبب **ضعف هؤلاء**، وقد أوضح ذلك أيضًا في قوله: «"إِنَّكُمْ قَدْ شَبِعْتُمْ! قَدِ اسْتَغْنَيْتُمْ! مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا! ...» (١كو ٤:٨).

إنَّ انقسام الكنيسة هذا لم يَكُن بالحَدث الهَيِّن واليسير، بل هو الأكثر فسادًا من كُلِّ شيء. في الوقت ذاته، فقد **ارتُكِبَت خطيئة أُخرى وبجرأة شديدة، حيثُ أقام شخص علاقة آثمة مع زوجة أبيه**، ولم يوبِّخه أحد على ارتكابه لهذا الفعل، بل إنَّ جميع المنتسبين لنفس الجماعة قد أثاروا صخبًا وضجيجًا، مفتخرين بذاك الشَّخص، ولأجل هذا يقول لهم: «أَفَأَنْتُمْ مُنْتَفِخُونَ، وَبِالْحَرِيِّ لَمْ تَنُوحُوا» (١كو ٥:٢). بالإضافة إلى ذلك أيضًا فإنَّ البعض ممن كانوا يَبدون وكأنَّهم كاملين، قد أفسدوا كُلّ شيء عن طريق **أكلهم لحوم الذبائح**، وكانوا ينامون في **المعابد الوثنيَّة**، وأشعل آخرون أيضًا معارك ومُشاحنات من أجل الحصول على المال، وطرحوا منازعاتهم أمام **محاكم الأمم**. وأيضًا كان هناك كثيرون مما يتجوَّلون بين هؤلاء بِشَعرٍ مُنسدل، هؤلاء قد أوصاهم **الرسول بولس** أنْ يقصُّوا شعورهم.

وكان هناك أمرٌ آخر، يمثِّل مخالفة جسيمة وغير مقبولة، وهو أنَّ **بعض المجموعات كانت تنعزل بمفردها لتناول الطعام في الكنيسة،**

ولم تهتم بتقديم شيء لِمَن هُم في عَوْزٍ. ولم يكتفوا بهذا، بل ارتكبوا مخالفة أخرى: لقد افتخروا بمواهبهم، الأمر الذي أثار غيرة وحسدًا فيما بينهم، كما تَسبَّبَ في حدوث انقسامٍ كبير داخل الكنيسة. ومن ناحية أُخرى كان هناك البعض ممن **لم يؤمنوا** بقيامة الأجساد، لأنَّهم كانوا لا يزالون متأثرين **بالحماقة اليونانيَّة**. كُلّ هذا قد حدث بسبب **حماقة الفلسفة الوثنيَّة**، وهذه كانت أمّ كُلّ الفلسفات، ومن هنا كانت تأتي الانقسامات، وهذا قد عرفوه تحديدًا من الفلاسفة. فهؤلاء الفلاسفة كما هو معروف، كانوا يتنازعون فيما بينهم، فكان كُلّ واحد يُعارض أفكار الآخر بصورةٍ دائمة بسبب **حُبّ السلطة والقيادة والمجد الباطل**، لقد عانوا من كُلّ هذه الأمور ، لأنَّهم كانوا يعتمدون في حَلّ مشاكلهم **على العقل والمنطق فقط**.

وأرسَلَ أيضًا أهل كورنثوس رسالة إلى **الرسول بولس** بشأن فرتوناتوس، واستفاناس، وأخائيكوس، ومن أجلهم، أرسَلَ هو نفسه الرسالة، وهذا ما أعلنه في نهايتها، لكنهم لم يكتبوا له عن كُلّ مشاكلهم، بل عن الزواج والبتوليَّة فقط، ولأجل هذا يقول: «يُسْمَعُ مُطلقًا»، وأيضًا: «كَمَا كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا» (١كو ٧:١).

وبعدما سمع **الرسول بولس** بالتدقيق ضعفاتهم، كتب لهم ردودًا على ما كتبوه له، وما لم يكتبوه، فقد أرسَلَ لهم تيموثاوس بالإضافة إلى الرسالة المكتوبة، عالمًا بأنَّ الرسالة لها تأثيرٌ قويّ، لكن حضور تلميذه (تيموثاوس) يُضيف لهم الكثير الكثير. إنَّ أولئك الذين كانوا يُثيرون الانقسامات في الكنيسة ربما كان دافعهم هو السعي نحو **نوال المجد الباطل**، فقد ابتدعوا غطاء لشهواتهم، وكأنَّهم معلمون للأمور الكاملة، وأنَّهم حُكماء أكثر من الآخرين، لذلك فإنَّ **الرسول بولس** واجَهَ أولًا هذا المرض، ونزع جذور الشَّرّ والخصومات التي نتجت عنه، وتكلَّم بجرأة وشجاعة، لأنَّ هؤلاء كانوا تلاميذ له أكثر من الجميع، ومن أجل هذا قال: « إِنْ كُنْتُ لَسْتُ رَسُولًا إِلَى آخَرِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا إِلَيْكُمْ رَسُولٌ! لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ خَتْمُ رِسَالَتِي فِي الرَّبِّ.» (١كو ٩:٢).

ولكنهم كانوا أضعف في الإيمان من الآخرين، لذلك قال: «لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ» (١كو ٣:١-٢). قال هذا حتى لا يعتقدوا أنَّهُ يُشير إلى الماضي. ولهذا أضافَ: «بَلِ الآنَ أَيْضًا لاَ تَسْتَطِيعُونَ». إلَّا أنَّهُ ليس من الطبيعي أن نقول إنَّ الجميع قد انحرفوا (عن الطريق الصحيح، لأنَّ البعض منهم كانوا قدِّيسين، وهذا ما أعلنه في منتصف الرسالة، بقوله: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ» وأضافَ: «فَهذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهًا إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُّوسَ» (١كو ٤:٣-٦). إذًا فنظرًا لأنَّ هذه الشُّرور قد أتت بسبب افتخار وتباهي لا مبرِّر له، أو بسبب أنَّ البعض كانوا يرون في أنفسهم أنَّهم الأكثر علمًا ومعرفة، فإنَّهُ شرع في علاج هذا المرض لدى الآخرين، وهذا ما قاله في بداية الرسالة.

الإصحاح الأوَّل

العظة الأولى : (١كو ١:١-٣)

«بُولُسُ،الْمَدْعُوُّ رَسُولاً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَسُوسْتَانِيسُ الأَخُ، إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ، الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَهُمْ وَلَنَا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (١كو ١:١-٣).

١ – لاحظ كيف أنَّهُ يقول: «بُولُسُ،الْمَدْعُوُّ» (١كو١:١).

لقد استبعد **الرسول بولس** – من بداية الرسالة وبشكل مباشر – التباهي والافتخار، بأن دعا نفسه «**الْمَدْعُوُّ**» رافضًا لِكُلّ ما كان يفتخر به هؤلاء. يقول: إنَّ ما تعلّمته لم أكتشفه وحدي، ولم أُدركه بحكمتي الخاصة، **بل وبينما أنا أضطهد الكنيسة وأتلفها، دُعيتُ للعمل الرسولي**. هنا يوجد تأكيد وتشديد على أنَّ كُلّ شيء مرتبط بعمل الذي **يدعو**، وأنَّ المدعو لا يفعل شيئًا، سوى الطاعة فقط. يقول: إنَّ معلّمكم هو: «**يَسُوعَ الْمَسِيحِ**»، ألستم أنتم أيُّها البَشَر دُعيتم معلّمين؟

ثُمَّ يضيف: «**بِمَشِيئَةِ اللهِ**»، أي أنَّ الله أراد هكذا أن ننال الخلاص، لكن نحن لم نُنجز أي شيءٍ، بل نلنا الخلاص بواسطة مشيئة الله فقط، ودعانا لا لأنّنا كُنا مستحقين، بل لأنَّهُ حَكَمَ بأن يتمّ ذلك لصالح الكُلّ، فمشيئة الله أن يخلُص الجميع. ثمَّ يقول: «**وَسُوسْتَانِيسُ الأَخُ**»،مرَّة أُخرى يُظهر تواضعه واضعًا مَنْ هو أقل بكثير في الرتبة والقيمة، مُساويًا له، لأنَّهُ بكلّ تأكيد يوجد فرق كبير جدًّا بين **الرسول بولس** وسوستانيس. فإن كان هنا، حيث هذا الفارق الكبير، قد وضع **الرسول بولس** مَنْ هو أقل منه، مُساويًا له في الرتبة، فهل هناك ما يمكن أن يتذرَّع به أولئك الذين يحتقرون مَن هُم مساوون لهم في كُلّ شيء؟

يقول: «إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ» (١كو١:٢).

ليس إلى كنيسة هذا أو ذاك، بل إلى «إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ». أرأيت كيف أنَّهُ في كُلّ كلمة **يُحطِّم كبرياءهم**، دافعًا إيَّاهم أن يتوجَّهوا بكل أفكارهم نحو السماء؟ إنَّهُ يدعوها كنيسة الله، لكي يُبَيِّن لهم أنَّهُ ينبغي عليهم أن يكونوا متَّحدين، لأنَّهُ إن كانت هي كنيسة الله، فهي في وحدة وهي واحدة، ليس فقط في كورنثوس، بل وفي كُلّ المسكونة، لأنَّ هذه الكلمة ذاتها «كنيسة» تعني وِحْدَةً وَتَوافُقًا، وليس **انفصالًا**.

ثمَّ يُضيف «**الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ**» مرَّة أُخرى يضع اسم يسوع، ولا يتكلَّم بآسم أحد من البَشر على الإطلاق. وما هي القداسة؟ **هي المعموديَّة والنقاوة**. أي أنَّهُ يُذَكِّر هؤلاء **بنجاستهم** التي

خَلَّصهم الله منها، ويريد أن يُقنعهم بأن يكونوا متواضعين، وهُم قد حقّقوا القداسة، لا من خلال إمكانياتهم الخاصة، بل بسبب محبّة الله للبشر. «الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ»، يُشَدِّد هنا على أنَّهم وإن كانوا قد خَلَصُوا بالإيمان، فهذا أيضًا لم يكن متوقفًا على اعمالهم، فكأنَّه يقول لهم: لأنَّكم لم تقتربوا من المسيح بمبادرة منكم، بل هو الذي دعاكم حتى أنَّكم لم تساهموا بأي عمل ولو صغير جدًّا. ولكن إن كُنتم قد اقتربتم من المسيح وأنتم المسئُولون عن **خطايا لا حصر لها**، إنَّ هذا أيضًا لا يرجع إلى قدراتكم، بل إلى محبّة الله. ولهذا فإنَّهُ يقول في رسالته إلى أهل أفسس: «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ» (أف ٢:٨). إنَّ الإيمان في مجمله لا يُعتبر عملًا خاصًا بكم، لأنَّ إيمانكم لم يكن هو البداية، بل المسيح هو الذي دعاكم أوَّلًا، وأنتم أَطعتم.

«مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» أي ليس بٱسم هذا أو ذاك، بل بٱسم الرَّبّ. «فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَهُمْ وَلَنَا:»، بمعنى أنَّ الرسالة وإن كانت مُوَجَّهة فقط إلى أهل كورنثوس، إلَّا أنَّهُ يجب أن تتذكَّروا أنَّها تشمل جميع المؤمنين، ولكي يُبَرهِن على أنَّ الكنيسة يجب أن تكون واحدة في كُل المسكونة، وإنْ كانت منتشرة في أماكن كثيرة، وبالأكثر جدًّا تكون كنيسة كورنثوس، مُوَحَّدة. وحتى إن اختلف المكان. فإنَّ الرَّبّ الذي هو نفسه في كُلّ الأماكن، هو الذي يوَحِّدهم، لأجل هذا ولكي يوحِّدهم، أضافَ «لَهُمْ وَلَنَا».

إنَّ هذه الحقيقة (بأنَّ الرَّبّ في كُلّ الأماكن)، هي أفضَل بكثير من المكان الواحد. وأنَّ الوحدة أهم بكثير من الانقسام، تمامًا مثل أولئك الذين يُوجدون في مكان واحد، وعندما يرأسهم قادة كثيرون **مُتنازعون ومتخاصمون** فيما بينهم، فهؤلاء أيضًا ينقسمون، وكونهم يَحيون في نفس المكان، فهذا لا يجعلهم في حالة تَوافُق فيما بينهم، لأنَّ كُلّ واحد من القادة يُصدر أوامر مختلفة للآخرين، ويُريد أن يكونوا إلى جانبه، لأنَّه يقول: «لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. فِي آنٍ وَاحِدٍ». هكذا أيضًا الذين يسكنون في أماكن مختلفة، بما أنَّهُ ليس لديهم قادة كثيرون بل قائدٌ واحدٌ، فحينئذ سيكون التوافق مؤكَّدًا فيما بينهم، على الرَّغمِ من أنَّهم يحيون في أماكن مختلفة، لأنَّ سيِّدهم الواحد، يُوَحِّدهم معًا. إذًا فهو يقول: إنَّني لا أقصُد أن يكون لكم يا أهل كورنثوس وفاقًا وتوافقًا مع ذويكم فقط، بل مع جميع المؤمنين في المسكونة كلّها، لأنَّ لكم نفس الرَّبّ، ولهذا قال: «بِاسْمِ رَبِّنَا» للمرَّة الثانية أيضًا. وليس «بٱسم الرَّبّ» لأنَّهُ قال: « اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ»، وحتى لا يبدو أمام الحمقَى أنَّهُ يُقسِّم المؤمنين، أضاف أيضًا: أنَّ الرَّبّ «لَهُمْ وَلَنَا». ولكي يصير ما أقوله أوضح، سأقرأ هذا الجزء بحسب المعنى كالآتي: « أنا بولس وسوستانيس إلى كنيسة الله التي في كورنثوس مع جميع الذين يُدعَوْن بٱسم ربنا يسوع المسيح»، الذي هو إلهنا وإلههم، سواء كانوا في روما أو في مكان آخر «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». أو كما أعتقد أنَّهُ الأصوَب أيضًا أن يُقرأ هذا الجزء هكذا: «بولس وسوستانيس إلى القديسين الذين في كورنثوس المدعوين قديسين مع كُلّ الذين يُدعون بٱسم ربّنا يسوع المسيح الذي هو في كُلّ مكان إلهنا وإلههم». بمعنى أنَّهُ يدعوهم قائلًا: أيُّها المؤمنون في كورنثوس، يا مَن دعاكم الرّبّ وَقَدَّسَكم، وليس أنتم فقط، بل كُلّ مَن يدعو بٱسم يسوع المسيح في كُلّ مكان، الذي هو إلهنا وإلههم، يا ليت تقتنون لكم النعمة والسلام من الله. فإن كان السلام هو نتيجة النعمة، فلماذا تتباهى وتفتخر كثيرًا، طالما أنك خَلَصتَ بنعمة الله؟ وإن كان لك سلامٌ مع الله، فلماذا تتوَجَّه إلى الناس وليس إلى الله؟ لأنَّ هذا انقسام في جماعة المؤمنين. إذًا أية منفعة إن ارتبطتم بعلاقة وديَّة مع ذاك الذي هو مدين بوجوده وحياته لله، لكنني أطلب إليكم أن تقتنوا السلام والنعمة من الله، فهُما يأتيان منه ويتجهان نحوه، لأنَّهُ لن يكونا ثابتين، إن لم يأتِيَا من السماء. وإن لم يتجها نحوالله، فلن تنتفع مُطلقًا إن كان لنا سلامٌ مع جميع الناس، بينما نحن **نقاوم** الله. كما أنَّنا لن نتضَرَّر مُطلقًا إن كُنَّا جميعًا **نُقاوم** بعضنا بعضًا، لكن لنا سلامٌ مع الله. من ناحية أخرى فإنَّنا لن نجني أي منفعة، إن كُنا نسلك **ضدّ** إرادة الله، حتى وإن كُنَّا نَحظَى بتقدير الجميع، ولن نتعرَّض لأي خطر، إذا تحوَّل عنَّا الجميع وأبغضونا، ولكن الله يقبلنا ويحبنا، وذلك لأنَّ النعمة الحقيقيَّة والسلام الحقيقي يأتيان من الله. فذاك الذي ينال النعمة من الله لا يخاف أحدًا، حتى ولو واجَهَ كوارث كبيرة، ولا أعني فقط لا يخاف من إنسان، بل ولا يخاف **من الشيطان نفسه**. ،إذا كان هناك من **يُقاوم** الله، فإنَّهُ يتشكّك في الجميع، حتى وإن كان يبدو أنَّهُ قائم في أمان. لأنَّ الطبيعة البشريَّة تتعرَّض لعدم الثبات والتغيُّر والتحوُّل، ليس فقط أصدقاء أو أخوة، بل أيضًا بعض الآباء كثيرًا ما يغيّرون مشاعرهم، ويُطاردون ويضطهدون قريبهم كأكبر عدوٍّ لهم بدون سبب جوهري، وأيضًا هناك أبناء يطردون آباءهم لاحظ الآتي:

٢- إنَّ **داود** كان له نعمة لدى الله، بينما **أبشالوم** كان له نعمة لدى الناس، فماذا كانت نهاية كُلّ واحد منهما، أنتم تعرفون مَن الذي نمى وازدهر أكثر. **وإبراهيم** كان له نعمة لدى الله، وكان **فرعون** يحظى بتبجيل الناس، لكنهم (أي رؤساء فرعون) قدموا له زوجة إنسان بارّ (أي إبراهيم). إذًا مَن منهما هو الأمجد والأسعد؟ بالتأكيد إنه **إبراهيم**، هذا أمرٌ واضحٌ للجميع. ولكن لماذا أذكر أمثلة لأناس أبرار؟ إنَّ **بني إسرائيل** كان لهم نعمة لدى الله، أمَّا **المصريون** كانوا يُبغضونهم، وقد تفوَّقَ **بنو إسرائيل عليهم** وهزموهم، وجميعنا يعرف كم كان انتصارهم بهيًّا.

إذًا فلنهتم جميعًا بالآتي: على العَبدِ أن يسعَى بالأكثر أن يكون له نعمة لدى الله، على أن تكون له نعمة لدى **سيِّده**، والزوجة أيضًا، لِتَطلُب أن تنال رِضَى الله مُخلِّصها، على أن تطلُب رِضَى زوجها، والجنديّ ليطلُب رِضَى السَّماء قبل أن يطلُب رِضَى الملك أو القائد، لأنَّهُ هكذا ستكون أيضًا مستحقًا لمحبة الناس، لكن كيف ينال الإنسان نعمة من الله؟ ولا يمكنه أن يحقِّق ذلك، إلَّا إذا كان متواضعًا، لأنَّ الكتاب يقول: «كَمَا أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ، هكَذَا يُعْطِي

نِعْمَةً لِلْمُتَوَاضِعِينَ» (أم ٣:٣٤). وأيضًا: «ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرْهُ» (مز ٥٠:١٧). لأنَّهُ إن كان التواضع مرغوبًا فيه من الناس بهذا القَدر، فإنَّ الله يريده لنا أكثر جدًّا ممَّا يريده الناس.

إبراهيم أَبِ الآباءِ

ولذلك فإنَّ المسيحيين من الأمم وجدوا نعمة لدى الله، **بينما اليهود** لأجل نفس السبب **فقدوا** نعمة الله. لأنَّهم: «لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللهِ.» (رو ١٠:٣). **الإنسان المتواضع ينال النعمة**، ويصير محبوبًا من الجميع ويكون لديه سلام وهدوء دائم، لأنَّهُ حتى وإنْ أَهَنتَهُ وتكلَّمتَ عليه بالسُّوء، فإنَّهُ سيتحمَّل في صمت ووداعة، وسيحتفظ بسلام لا يوصف تُجاه الجميع، وتُجاه الله بطبيعة الحال، لأنَّ وصيَّة الله هي أن نحيا في سلام مع الناس، وهكذا إن كان هناك سلامٌ فيما بيننا، فإنَّ حياتنا ستسير في سلام، لأنَّهُ بكل تأكيد لن يستطيع أحد أن يُؤذي الله، لأنهَ طبيعته لا يعتريها أي فساد ولا يُصيبها أيُّ ضَرَرٍ.

لا شيء يجعل المسيحي موضع إعجاب بهذا القدر الكبير، سوى التواضع. إسمع كلمات إبراهيم يقول: «أَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ» (تك ١٨:٢٧). لاحِظ رؤية الله لموسى أنَّهُ كان أرأف وألطَف من جميع الناس. لم يكن هناك أحد أكثر تواضعًا منه، وإن كان قائدًا لجمعٍ كبير من البشر بهذا القدر، وإن كان قد أنهك الملك وكُلّ جيش المصريين، وإن كان قد حقَّقَ إنجازات كثيرة في مصرَ، وفي البحر الأحمر، وفي البريَّة، وأخيرًا حتى وإن كان هناك شهادة له على أعماله المُبهِرَة، إلَّا أنَّهُ كان يسلك ويتصرَّف كإنسان عادي، كان أكثر إتضاعًا من نسيبه (يثرو كاهن مدين، الذي اقترح عليه أن يعيّن قضاة للنظر في شكاوى الشعب) ، وَقَبِلَ رأيَهُ، ولم يَتضايَق، ولم يَقُلْ له: ماذا تقول الآن؟ «هل أتيتَ لكي تنصحني أنا»، وقد صنعتُ كُلّ هذه الإنجازات المُدهشة؟ هذا تحديدًا ما يُصيب الكثيرون، حتى وإن كان هناك شخص يُعبِّر لهم عن رُؤى متميّزة أو فكر مُتَمَيِّز، لأنَّهم يحتقرون التواضع الظاهر.

وبالرغم من ذلك لم يتصرَّف موسى هكذا، بل حقَّقَ كُلّ شيء بالتواضع. ولذلك ازدرى بالقصور الملكيَّة، لأنَّهُ كان متضعًا حقًّا. إنَّ التواضع هو الذي يستحضر الفكر الصحيح والسَّامي. ماذا تعتقد في شخص يحمل كُلّ هذا السموّ الفكري وعظمة النفس هذه، حين يُظهِر كُلّ الازدراء بالقصور والموائد الملوكيَّة ؟ ومما هو معروف لدى المصريين، أنَّ الملوك يُكَرَّمونَ كآلهةٍ، ويتمتَّعونَ بغِنَى وكنوز لا حَصرَ لها، ومع هذا فبعدما تركَ موسى كُلّ هذا، بل وتركَ عرش مصرَ نفسه، أسرَعَ إلى مساعدة الأسرى (من العبرانيين)، الذين أنهكهم العمل في صناعة الطوب من الطين، وقد صاروا عبيدًا للمصريين، إذ يقول الكتاب: «فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ» (خر ١:١٣). وهذا يُظهِر أنَّ هذا المُتضِع (موسى) هو الأسمى والأعظم رؤيةً وفكرًا. لكن الغرور والزَّهوَ بكل تأكيد يَنتُج عن فكرٍ تافه وزهيد وعن نفس مُتَدَنِّيَةٍ، بينما الوداعة هي نتاج لفكرٍ عظيم وسامٍ ونفس عظيمة للغاية.

٣– لكن إن أردتم أن نُقَدِّم مزيدًا من الشرح لكل مثال، فإنَّنا نقول هل وُجِدَ مَن هو أسمَى من إبراهيم؟ ومع ذلك فهو الذي قال: «أَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ» (تك ١٨:٢٧). وهو الذي قال: «لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» (تك١٣:٨). هذا الإنسان المتواضع ٱحتقَرَ الغنائم الفارسيَّة، ولم يُقِم نُصِب الانتصار على البربر. هكذا سلك بحسب فكره السَّامي للغاية، لأنَّ صاحب الفكر الرَّاقي والسَّامي، هو المتواضع الحقيقيّ، وليس المتملِّق أو المستهزىء. الفكر السَّامي شيء، **والكبرياء والزَّهو** شيء آخر، وهذا يتضح بالمثال الآتي: إن نظَرَ أحدٌ للفخار على أنَّهُ مجرَّد فخار، ولم يُعطِهِ أهميَّة، بينما شخص آخر أُعجِبَ بالفخار واعتبره مثل الذهب، وأعطاهُ أهميَّة كُبرى، تُرى مَنْ يكون الأسمى؟ أليسَ ذاك الذي لم يُعجَب بالفخار ولم يُدهش له؟ ومَنْ هو **الأدنَى والتافه**؟ أليسَ هو ذاك الذي أُعجِبَ بالفخار وأعطاهُ قيمَة كبيرة؟

إذًا فلنتأمَّل هكذا، أنَّ ذاك الذي يدعو نفسه ترابًا ورمادًا، يمكن أن يكون الأسمى، ويكون متواضعًا في كلامه، أمَّا الذي لا يعتبر نفسه ترابًا ورمادًا، بل يعتني ويهتمّ بنفسِهِ ويتشامخ بفكرِهِ، هذا يُعَدُّ إنسانًا **زهيدًا وتافهًا**، طالما أنَّهُ يعتبر الأمور التي لا قيمة لها، أُمورًا مهمَّة. هكذا فإنَّهُ من الواضح أنَّ أبَ الآباء (إبراهيم) كنتيجة لفكره السَّامي للغاية قال: «أَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ»، بسموّ وليس **بكبرياء ولا تعالٍ**. تمامًا كما يحدث مع الأجساد: هناك جسد يمتلك قوَّة وحيويَّة، وآخر يُعاني من ارتفاع في درجة الحرارة، وكلاهما جسدان فيهما حياة مع اختلاف أنَّ أحدهما ينتمي إلى الأجساد التي تتألَّم وتُعاني، أمَّا الآخر فهو جسد صحيح ومُعافًى.

وينطبق ذلك على الذِّهن. فهناك ذهن **أسير التباهي والكبرياء**، ونتيجة ذلك فهو يُعاني، بينما الذِّهن الآخر (المتضع) فهو أسمى ويتمتَّع بالصِّحة.

موسى النبيّ

مثال آخر: يوجد شخص طويل القامة، وشخص آخر قصير القامة، ولأنّه قصير القامة يرتدي حذاءً مرتفعًا ليصبحَ أطول من الشخص الطويل بالطبيعة؟ لأنَّ قصير القامة صارَ أطوَل من خلال لبسه لحذاءٍ مرتفع، وهكذا صارَ أطوَل. هذا ما يُعاني منه أناسٌ كثيرون، فهم يرفعون أنفسهم **بالمال والمجد**، إلَّا أنَّ هذا ليسَ سموًّا، لأنَّ الإنسان السَّامي هو الذي لا يحتاج الآخرين، والذي يزدري بكلّ ما يؤدِّي لاكتساب الرِّفعة والسموّ، ذلك لأنَّهُ يتمتَّع بسموّ في ذاته. إذًا لنَكُن مُتضعين، حتى نصير مرتفعين، لأنَّ: «مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (متى ٢٣:١٢). غير أنَّ **المتباهي والمتكبِّر** ليس هكذا، بل هو **أتفه** من الجميع. إنَّ المعتدل أو المتواضع لا يتشامخ بفكرِهِ، ولا حتى لأجل الأمور الهامة، لأنَّهُ يعرف مدى حجمه الحقيقيّ واتضاعه، بينما المتكبِّر التَّافِه يفتخر كثيرًا، حتى من أجلِ لا شيء. إذًا لنربح السموّ والارتفاع الذي يتحقَّق بالتواضع، لنفكِّر ولنتأمَّل في طبيعة البَشر، حتى نلتهب من جهة الشوق لحياة الدهر الآتي، لأنَّهُ من غير الممكن أن نصير متضعين بطريقة أُخرى، إلَّا بالشَّوقِ للإلهيَّات، **واحتقار أمور الحياة الحاضرة**. تمامًا كما لو أنَّ شخصًا قد تَهَيَّأَ لكي يُتَوَّج مَلِكًا، ولكن حدث بعد ذلك أنَّ شخصًا ما قد قَدَّمَ له كرامة، لكن ليس بالقدر الكافي، بالرغم من ارتدائه ذلك الثوب الأُرجواني، فإنَّهُ بالطبع سيعتبره لا شيء، هكذا نحنُ أيضًا سنسخَر من الأمور الحاضرة، إنْ كُنَّا نشتهي الكرامة السماويَّة. أَلَا ترون الأطفال عندما يلعبون، فهُم يُشكِّلون أنفسهم مجموعات مصطفَّة من الجنود، ويسبق هؤلاء مَنْ ينادي للحرب، وآخرون يمسكون بالعصي (كعلامة للرتبة والقوَّة)، وفي المنتصف يمشي الفتى كقائد، أَلَا تَرَوْنَ ما يفعلونه، إنَّما ألعاب طفوليَّة؟ إنَّ ما يتعلَّق بحياة الإنسان هو هكذا، **وأكثر تفاهة من هذا**، فالأمور الخاصة به توجد اليوم، وغدًا تُصبح **غير موجودة**.

إذًا لِنَصِر أسمَى من كُل هذا، وليس فقط ألَّا نشتهي هذه الأمور الدنيويَّة، بل **لِنَستَحِي منها** إنْ عرَضَها أو اقترحها علينا أحد، وهكذا فلنُلْقِ عنَّا الشَّوق نحو هذه الأمور، وليكُن اشتياقنا نحو الأمور الإلهيَّة فقط، وسنتمتَّع بالمجد الدائم والذي ليتنا جميعًا نناله، بالنعمة ومحبَّة البَشر اللتين **لربنا يسوع المسيح** الذي يليق به المجد والكرامة **مع الآب والرُّوح القُدُس** ، الآن وكُلّ أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

لبنًا ولحمًا وتسبيحًا

للقديس أفرام السوري

عند ميلاد الابن كان في بيت لحم صياح عظيم؛ الملائكة نزلت وسبحت هناك، كانت أصواتهم كرعدٍ عظيمٍ ، وعند سماع صوت التسبيح، جاء (الرعاة) الصامتون يُسَبِّحُون الابن. جاء الرعاة حاملين أفضل الهدايا من قطعانهم.لبنًا لذيذًا ولحمًا طازجًا وتسبيحًا لائقًا.أعطوا اللحم ليوسف، واللبن لمريم، والتسبيح للابن.

أحضروا حملاً رضيعًا وقدموه لخروف الفصح. قدموا بكرًا للابن البكر، وضحية للضحية، وحملاً زمنيًا للحمل الحقيقي.إنه لمنظر جميل أن ترى الحمل يُقدم إليه حملًا.لقد مأمأ الحمل وهو يُقدم للابن البكر.يُسبح ممجدًا الحمل الذي أتى ليحرر القطعان والبقر من الضحايا.اقترب الرعاة منه، وسجدوا له، ومعهم عِصِيُّهُمْ. حَيُّوْهُ بالسلام، قائلين:"السلام يا رئيس الرعاة. هوذا عصا موسى تسبح عصاك يا راعي الجميع.لأن موسى يسبحك، مع أن خرافه قد صارت ذئابًا، وقطعانه كما لو صارت تنانين.في البرية المخيفة صارت قطعانه غاضبة وهاجمته.أما أنت فيسبحك الرعاة، إذ صالحت بين الذئاب والحملان في داخل الحظيرة!

آه أيها الطفل، يا من أَقْدَمُ في الأيام من نوح وأصغر منه أيضًا، يا من صالحت الجميع في داخل الفُلْكِ وسط الأمواج!

داود أبوك من أجل حمل قتل أسدًا، وأنت يا ابن داود قتلت الذئب المخفي الذي قتل آدم الحمل الوديع، الذي كان يقتات ويمأمىء (يسبح) في الفردوس.عند سماع صوت التسبيح العروسات قمن يقدسن أنفسهن، وقامت العذارى إلى العفة، حتى الفتيات الصغيرات قمن جميعهن في جدية وأتين في الحشد وسجدن للابن! نساء مدينة داود الهرمات أتين إلى ابنة داود وقدمن الشكر، قائلات:"مباركة هي مدينتنا التي استنارت طرقها بأشعة يسَّى، اليوم تأسس عرش داود بك يا ابن داود".

الرجال المسنون صرخوا قائلين:"مبارك هو هذا الابن الذي أرجع شباب آدم ...مبارك هو الطفل الذي به رجع آدم وحواء إلى صبوتهما".

النساء الطاهرات قلن: "أيها الثمرة المباركة، بارك ثمرة أحشائنا حتى تصير أبكارًا لك"...العواقر أيضًا عشقن إياه وحملناه، قائلات: "أيها الثمرة المولود بغير زواج، بارك أحشاءنا نحن المتزوجات، ولترحم عقمنا يا طفل البتولية العجيب!".

التطويبات

طوبى للمساكين بالرُّوح

طوبى للمساكين بالرُّوح

المؤلِّف: هو الأب أنتوني م. كونياريس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم اليونانيّة (الروميَّة) الأرثوذكسيَّة في مينيابوليس،في الولايات التحدة الأمريكيَّة، وهو يتميَّز بغيرة رسوليَّة حارَّة. كان مسئولًا عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجحَ من خلال كتاباته في جعل الروميَّة الأرثوذكسيَّة للشباب رسالة ذات تقليد حيّ، تتقبَّل كُلّ ما هو حقيقي وجميل، وترفض كُلّ ما هو زائف وفاسد.

«طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (متى ٥:٣).

هناك قصَّة عن **راهب بندكتي** كان يتأمَّل في أنظمة الرَّهبنة المختلفة **للكنيسة الكاثوليكيَّة** قال:

«حسنًا، اليسوعيُّون يتفوَّقون علينا بالمعرفة، والدومينكان فاقونا بالكرازة، والفرنسيسكان فاقونا في حُسن الكلمات، لكن لا يستطيع أحد أن يفوقنا في الاتضاع».

هناك تضاد بين الاتضاع وبين هذا الفكر، ذلك أنَّهُ إن اعتقدتَ أنَّكَ مُتَّضِع فأنتَ لستَ كذلك.

قال **ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt** ذات مرَّة: **«الاتضاع هو ذلك الشيء الغريب الذي في اللحظة التي تظنّ أنَّكَ تمتلكه تفقده».**

أو كما قال **فولتين شين Fulton Sheen**: **«الاتضاع مثل الملابس الداخليَّة، يجب أن نملكها لكن يجب ألَّا نراها أبدًا».**

مَنْ هُم المساكين بالرُّوح؟ :

ماذا تعني «مساكين بالرُّوح» إنَّها ليست الفقر الرُّوحي. فالفقر الرّوحي هو شيء فينا جميعًا. إنَّهُ **نقص المحبَّة والإيمان والقداسة والرَّجاء والبصيرة**. يمكننا أن نكون فقراء روحِيًّا دون أن نكون مساكين بالرُّوح.

أليسَ جميعنا فقراء روحِيًّا ؟ وعلى سبيل المثال، نحن فقراء في ضعفنا البشري، وفي الخطيَّة وفي الجهل؟ **وأليسَ المساكين بالرُّوح هُم أولئك الذين يؤمنون ويعترفون أنَّنا فقراء روحِيًّا، أنَّنَا جَهلة وخُطاة ونأتي إلى الله من أجل الشفاء والخلاص؟** .

نوعان من الجهل :

الجميع فقراء روحِيًّا، لكن ليس الجميع مساكين بالرُّوح. لكي نوضِّح ذلك، نقول إنَّ الجميع جهلة، لكن هناك نوعان من الجهل:

النوع الأوَّل: نوع متكبِّر يقولُ بِتَعالٍ: **«لستُ محتاجًا أن أتعلَّم أي شيء من أي أحد، أنا حكيم وكفاية على ما أنا عليه».** هذا النوع من الجهل **يَظَلُّ في الظلام إلى النهاية** وليسَ مُطَوَّبًا.

اما النوع الثاني: فهو نوع متواضع يعرف أنَّهُ **في ظلام** وبهذه المعرفة يأتي إلى أَوَّلِ شُعاع من الضَّوء. وبهذا يمكننا القول: طوبى للجاهل الذي يعترف بجهلهِ لأنَّ له ملكوت الحكمة والمعرفة.

قال **المهاتما غاندي** ذات مرَّة:

«يجب على المرء أن يكون متواضعًا كالتراب قبل أن يستطيع اكتشاف الحَقّ».

الاعتراف بعوزنا الرُّوحي :

لأنَّنَا جميعًا فقراء روحِيًّا، فالخطيَّة والفشل والجهل هي جزء مُؤلِم في حياتنا اليوميَّة، لكن البعض راضٍ معتزّ فخور ويختلق لنفسِهِ الأعذار في هذه الأشياء. إنَّهم يرفضون الإقرار بعوزهم الرُّوحي. وبالرَّغمِ من أنَّ حياتهم مغلوبة من الخطيَّة والانهزام والفشَل، لكن ليس هناك توبة أو اعتراف، وليسَ هناك مجال لرحمة الله. إنَّهم فقراء روحِيًّا، لكنهم ليسوا مساكين بالرُّوح. عندما يُريد الفقراء روحِيًّا أن يعترفوا بحاجتهم إلى الله، فهُم يخطون أولى الخطوات نحو فرح الخلاص. طوبَى للتائبين المُتَّضِعين الذين يَرَوْنَ كيف أنَّ حياتهم بدون الله **فارغة عارية**، أولئك الذين يُقِرُّون بفقرهم الرُّوحي، هُم المساكين بالرُّوح والذين لهم ملكوت السَّموات. يقول **يسوع**: إنَّ الاعتراف والإقرار بعوزنا الرُّوحي هو ما يجعلنا مساكين بالرُّوح.

تعريف عبارة: المساكين بالرُّوح :

عندما ننظر إلى الأصل اليوناني للعهد الجديد، نجد أنَّ اليونان كان وما زال لديهم كلمتان للتعبير عن المساكين:

الكلمة الأولى: **بنيس Πένης Penes** وهي تَصِفُ شخصًا مُضطرًا لأن يعمل من أجل القوت، ولكن ليسَ لديه ما يفيض عنه أبدًا. إنَّهُ يعيش من يَدِهِ لِفَمِهِ. (يحصل على خبزه كفاف يومه).

الكلمة الثانية: **فتوخوس** Φτωχός **Penes** وهي تعني الفقر التَّام لدرجة البؤس. فقير ليس لديه أي شيء على الإطلاق. (فقيرٌ مُدقِع).

التطويب الأوَّل لا يستخدم الكلمة الأولى **بنيس** Πένης **Penes** لكن يستخدم الكلمة الثانية: **فتوخوس** Φτωχός **Penes** ليُشير إلى شخص ليس لديه أي شيء، لذلك يَتحتَّم عليه أنْ يضع كُلّ ثقته في الله وليسَ له إلَّا أن يقول: «اللهم ٱرحمني أنا الخاطىء». شخص يشعر شعورًا عميقًا بحاجته الشَّديدة، ومُتَيَقِّن أنَّهُ ليسَ أحد سوى الله يَقدِر أن يُشْبِع هذه الحاجة.

معنى أن نكون مساكين بالرُّوح :

ماذا تعني أن نكون مساكين بالرُّوح أيضًا؟

يقول **القديس يوحنا الذهبيّ الفَم**: «أن لا تعتبر شيئًا لكَ وليكن كُلّ ما تملكه كَقرضٍ مُؤَقَّت عندكَ».

وتعني أيضًا أن يكون اعتمادك الكلِّي على الله، وهذا ليسَ علامة من علامات الضَعف، بل بالأحرى علامة من علامات القوَّة والنُضج الرُّوحي. لأنَّ الله هو مَصدَر قُوَّتِنَا.

كان **إشعياء النبيّ** مِسكينًا بالرُّوح حقًّا عندما قال: «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ» (إش ٦:٥).

وكان **داود النبيّ** أيضًا مِسكينًا بالرُّوح فقال: «مَنْ أَنَا يَا سَيِّدِي الرَّبَّ؟ وَمَا هُوَ بَيْتِي حَتَّى أَوْصَلْتَنِي إِلَى هٰهُنَا؟» (٢ صموئيل ٧:١٨).

وكان **بُطرس** أيضًا مِسكينًا بالرُّوح فَخَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ، لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ!» (لوقا ٥:٨).

أن تكونَ مِسكينًا بالرُّوح ليس معناها أن تحتقر ذاتك، ولا أن تنظر لنفسك بازدراء، بل معناها أن تكون مُتَّضِعًا كالأطفال، قابلًا للتعلُّم مُستَعِدًّا لأن تعتمد على عظمة قوَّة الله.

وتعني أيضًا أن تكون مثل **العشَّار**: « وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللّٰهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ. » (لوقا ١٨:١٣).

المساكين بالرُّوح هُم الذين يعرفون حقيقة أنفسهم، **فالرسول بولس** يقول: « فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَلاَّ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.» (رومية ١٢:٣).

وقال **شيخٌ ناسكٌ** عن معنى المَسكَنة بالرُّوح:

«إن رأيتَ راهبًا شابًا يصعد إلى السَّماء بهواه، فَٱمسِك بقدميهِ واطرحه أرضًا لأنَّ هذا حَسَنٌ له».

أن تكونَ مِسكينًا بالرُّوح معناه ألَّا تكون **دَيَّانًا** لآخرين.

سُئِلَ أحد **الشيوخ** عن ما هي المَسكنة بالرُّوح ، فقال:

«إن أنتَ سامحتَ أخاكَ الذي أخطأَ إليكَ قبلَ أن يتوب إليكَ فهذه هي المَسكَنَة بالرُّوح».

الأنبا بيصاريون ترك محاكمة أخٍ أخطأ وقال: «أنا أيضًا خاطىء».

والأنبا موسى الأسود عندما دُعِيَ لحضور محاكمة أخٍ أخطأ، جاءَ حاملًا كيسًا مملوءًا من الرَّملِ مثقوبًا يتساقط الرَّملُ من خلفِهِ وقال: «إنَّ خطاياي تجري خلفي وأنا لا أراها، واليوم أنا آتي لأدين أخي على خطاياه».

يَتَساءل **الأنبا يوحنا**:

« لماذا يريد النَّاس أن يستبدلوا الحِمْلَ الخفيف نِسْبِيًّا الذي هو الكُرهُ لخطايانا، بالحِمْلِ الأثقَل هو تبرير ذواتنا وإدانة الآخرين»؟.

وصفت تريزا الطفل يسوع Therese of Lisieux، إحدى قدِّيسات الكنيسة الغربيَّة مَسكنة الرُّوح فقالت: « حتى لو عملتُ كُلّ أعمال بولس الرسول فسأعتبر نفسي أنَّني ما زلتُ خادمة غير نافعة؛ وسأجدُ يَدَيَّ فارغتين، وأتأمَّل يسوع فأجدهُ سيكون غير راضٍ عَنِّي عندما يَرانِي وليسَ لي أعمال، ومع ذلك لي إيمان أنَّهُ سَيُكافئني حسب رحمته! في نهاية الحياة سأظهر أمامك فارغة اليدين، ولن أسألك يا ربُّ أن تحسب أعمالي شيئًا، لأنَّ كُلّ أعمال برِّنا كخرقة الطامث. لذلك أريدُ أن تسترني وأَتَقَبَّل من محبَّتك كُلّ ما لكَ. لَنْ أُريد عرشًا أو تاجًا غيرك يا يسوع حبيب نفسي !».

ومن ليزييه بفرنسا كانت تريزا الطفل يسوع Therese of Lisieux ، مثالًا لمَن هو : «مسكينٌ بالرُّوح» : **«طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.»** (متى ٥:٣).

« هوذا الرَّبُّ راكبٌ على سحابة سريعة وقادم إلى مصرَ، يأتي الرَّبُّ والمخلص إلى مصر حيث نسكن، يأتي الرَّبُّ إلى أرض الظلمة حيث يوجد فرعون، لكنه لا يأتي إلا راكبًا على سحابة سريعة، ما هي هذه السحابة السريعة؟

أظن أنها القديسة مريم، مع طفل بدون زرع بشر.

جاءت هذه السحابة السريعة إلى العالم وأحضرت معها خالق العالم.

ماذا يقول إشعيا؟

يقول أنَّ الرَّبّ سوف يدخل إلى مصر على سحابة سريعة، فتتحطم أوثان مصر.

لقد جاء الرَّبّ فارتجفت بشدة آلهة مصر الباطلة، وسقطت معاً وتحطمت.

هذه هي السحابة التي حطمت معبد سيرابيس في مدينة الإسكندرية، لم يفعل هذا قائد حربي ولا إنسان مائت بل تممت ذلك هذه السحابة التي جاءت إلى الإسكندرية»

القديس جيروم _ عظة ٢٤ على المزامير

بعض **الباحثين البروستانت مثل أدولف هارناك يرفضون** العقيدة المسيحية القديمة: «التَّأَلُّه»، على أنها غير كتابية، ونتاج التأثير الهيللينيي الوثني. لكن الباحثين المعاصرين أظهروا أن التَّأَلُّه – على الرغم من وجود بادرة هيللينيَّة – **عقيدة مسيحية بشكل كامل في فكر وتعليم الآباء الذين كتبوا باليونانية، ومتفقة جدًّا مع الكتاب المقدس.**

كتب أثنان من الباحثين المعاصرين : «من السهل أن تشوش «التَّأَلُّه» المسيحي ببعض من الأفكار الوثنية التي سبقته، وبناءً على ذلك ترفض المعنى المسيحي بسبب الصفات السيئة التي للمعنى الوثني. لكن **آباء الكنيسة الأولى** لم يُشوشوا هكذا بكل سهولة، ربما لأنهم كانوا بالقرب من مصادر التشويش (معاصرين للوثنية)، وبالتالي كان لزامًا عليهم أن يبينوا التمايز والاختلاف بشكل واضح » (١).

يُظهر **الباحث جروس** – عند مقارنة التَّأَلُّه المسيحي بما سبقه من فكر هيللينيي وثني – أنَّ **آباء الكنيسة** رأوا التَّأَلُّه كعقيدة مسيحية بلا جدال. عقيدة التَّأَلُّه ليست جزءًا مما **دعاه هارناك : تحويل كلمات البشارة الأصليَّة إلى فلسفات يونانيَّة وثنيَّة**، لكنها بالأحرى **نمو متواصل نحو الحالة التي يجب أن نرجع إليها، الحالة التي « سلمها إلينا الكلمة (اللوغوس) في البداية» (بحسب كلمات القديس إيريناؤس). فآباء الكنيسة الأولى في الشرق لم يهيللينوا المسيحية بقدر ما نصَّروا الهيللينيَّة.**

يعلمنا علم اللاهوت الأرثوذكسي أنَّ التَّأَلُّه ما هو إلَّا النمو والإزهار – الذي لا ينتهي – لصورة الله فينا، التي تنضح بجمالها من مجد إلى مجد. التَّأَلُّه هو تحقيق الإمكانية التي زرعها الله فينا **في المعمودية المقدسة**. التَّأَلُّه هو تلك العملية التي تصير فيها الصورة – بنعمة الله – على مثال الله. كتب **الأب ستانيلوي** أنَّ «صورة الله لم تُفقد نتيجة للخطيئة لكن عملية التحول ليصير الإنسان على مثال الله توقفت». هذه العملية استأنفت الآن في **المسيح**. لا يستطيع أحد أن يبلغ إلى هذا الاتحاد الباطني مع الله إلَّا في **المسيح** ومن خلال **المسيح** بقوَّة **الرُّوح القُدُس**، فهو الطريق الوحيد وليس هناك غيره.

يمكن للطبيب النفسي أن يخبرنا ما هو الخطأ فينا، سواء من الناحية النفسية أو العاطفية، لكن السيِّد **المسيح** هو فقط الذي يستطيع أن يعطينا القوَّة للنهوض من الخطيئة والضَّعفِ، لكي نصير ما ينبغي علينا أن نكون عليه: أولاد الله وآلهة بالنعمة.

يكتب الأسقف مكسيموس أجيورجيوسيس : « يميز آباء الكنيسة بين صورة الله في الإنسان ومشابهته له أو المثال» (٢) ، الصورة هي الإمكانية المعطاة للإنسان التي يمكنه بواسطتها الحصول على حياة التَّأَلُّه (الشركة مع الله)، أمَّا المثال فهو تحقيق هذه الإمكانية، أي أن تصبح أكثر فأكثر صورة الله، ومن ثَمَّ أكثر فأكثر مثل الله. بكلمات أخرى، التمييز بين الصورة والمثال هو التمييز بين ما نحن عليه (بالإمكانية التي أعطاها لنا الله) وما نحن صائرون إليه» (٣).

الخلاص وفقًا لعلم اللاهوت الأرثوذكسي ليس حالة وجود بل حالة تحوُّل، حركة ثابتة نحو الاتحاد بالله (التَّأَلُّه)، الذي لا يمكن أنْ يتحقَّق بالتَمام في هذه الحياة. هي عملية تبدأ هنا وتُحقَّق وتُكمَّل في السماء. لم يقل **قديسو الكنيسة** قط: « **أنا خَلُصت، أنا مُبرَّر، أنا وَصَلْت** »، بل كانوا دائمًا في الطريق، لذلك استمروا في ترديد صلاة يسوع حتى نهاية حياتهم: «ياربي يسوع ابن الله أرحمني أنا الخاطئ». الحياة المسيحية هي حياة نمو مستمر، تحوُّل مستمر، رحلة مستمرة من كون الإنسان على صورة الله إلى أن يصير على «مثال الله».

عمليَّة التَّأَلُّه تبدأ **بالمعمودية** لكنها سوف تكتمل بكل بهائها فقط في ملكوت الله أي في السماء. هناك اولاد الله لن يُنظروه فقط في مجده (يو١٧: ٢٤)، لكنهم برؤيتهم الله «كما هو» سوف يصيرون «مثله» (١يو٣: ٣-٥). هناك سوف نشترك فيه بصورة أكمل، بحسب كلمات **القديس يوحنا الدمشقي**: « **أيها المسيح الفصح الاجلّ الامثل. يا حكمة الله وكلمتهُ، وقوَّتهُ. أنعِم علينا بأن نساهمك باوفر حقيقةٍ. في نهار مُلْكِكَ. الذي لا يَغْرُب أَبَدًا.**»، وكما يقول **القديس أغناطيوس** «**هناك يكون الاتحاد النهائي والكامل مع الله، هذا الاتحاد الذي قد تَشكَّل فقط في هذه الحياة الحاضرة سوف يُزهر ويتفتَّح بكل روعته هناك**». ويقول **أيضًا**: «هناك بعد القيامة سيكون للمؤمنين شركة في المسيح، وسوف يحوزون عدم فساد وحياة أبدية».

يضيف **القديس كيرلُّس الإسكندري** : ﴿ أنَّ فداءنا هو عملية متواصلة وديناميكية نحو التَّأَلُّه، والتي سوف تحقق كمالها النهائي في المجيء الثاني **للمسيح**. في الدهر الآتي، هِبَة التَّأَلُّه الممنوحة لنا في هذه الحياة بواسطة تشبهنا **بالسيِّد المسيح**، وسكن **الرُّوح القُدس** سوف تُحقَّق في كمالها. إذ أنَّنا ونحن لابسون الجسم الروحاني (١ كو ١٥:٤٤) وصائرون في عدم فساد (١ كو ١٥:٥٢) سوف نرى **الله** وجهًا لوجه (١ كو ١٣:١٢) ﴾.

يخبرنا **الكتاب المقدس** بأنَّ **الله** هو الذي شكَّلنا في رحم أمنا، وعندما شكَّلنا وضع فينا أعلى إمكانية محتملة: التَّأَلُّه والاتحاد **بالله**. جزء من مأساة الإنسان أنَّ هذه الإمكانية العظيمة تبقى فقط كإمكانية ولا تتحقَّق في ملئها. الإنسان في الحقيقة هو مخلوق ضعيف لكنه وُهِبَ من **الله** إمكانية عظيمة رائعة. يقول **الكاتب رالف والدو**(٤): «ما نخلفه وراءنا وما يمتد أمامنا، يعتبر مسائل صغيرة مقارنة بما يكمن في داخلنا». كُلُّنا نولد متساوين. عملنا هو أن ننمو ونفوق المساواة بالامتداد نحو تحقيق إمكانيتنا في **السيِّد المسيح**. هناك عظمة فينا، قال العلامة أوريجانوس (١٨٤-٢٥٤م): « كل كائن بشري هو بالطبيعة هيكل **لله**، مخلوق ليستقبل في نفسه مجد **الله** ذاته». بالرَّغم من أنَّنا كبشر لن يكون لنا طبيعة إلهيَّة مُطلقًا، إلَّا أنَّنا مَدْعُوُّون لنصير شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١:٤).

علم اللاهوت الأرثوذكسي يسمي الإمكانية التي خلقنا **الله** من أجل تحقيقها : التَّأَلُّه، لا ترتعب من هذه الكلمة، فهي في الواقع مفهومها بسيطٌ جدًّا، وهو أنَّ **جوهر البشارة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة** هو أنَّنا مَدْعُوُّون للاشتراك في حياة **الله** ذاتها. **الخلاص** في المفهوم الأرثوذكسي معناه **الإيجابي** أكثر بكثير من معناه **السلبي**. **الخلاص** يعني ليس فقط التبرير وغفران الخطايا بل يعني أيضًا – ولدرجة أكبر – التجديد وإعادة إصلاح صورة **الله** فينا، ورفع البشريَّة الساقطة بواسطة **السيِّد المسيح** إلى حياة **الله** ذاتها.

السيِّد المسيح يغفر لنا ويحرِّرنا من الخطيئة والموت حتى يمكننا أن نتقدَّم نحو تحقيق الإمكانية التي فينا، وهي أن نصير مثل **الله** في **المسيح** وان نشترك في حياته. **السيِّد المسيح** جاء ليخلصنا من الخطيئة لكي نشارك في حياة **الله**. وبكلمات أخرى، نحن خلصنا من الخطيئة لهدف التَّأَلُّه الذي هو إمكانيتنا العظيمة.

التَّأَلُّه هو اشتراك شخصي في حياة **الله** من خلال الإيمان والصلاة والأسرار الكنسيَّة. التَّأَلُّه هو الإمكانية الغنيَّة التي وضعها **الله** في كل إنسان مُعَمَّد. التَّأَلُّه هو اسم مسيرة الخلاص التي تبدأ **بالمعمودية** حيث نتَّحد **بالمسيح** ونتغير نحو شبهه. التَّأَلُّه هو تغيير وتجلي أسلوب حياتنا، من حيث اهتمامنا بالقريب والمشاركة المتبادلة والمحبة، وتوظيف أنفسنا وأملاكنا والخيرات الأرضية لخدمة **الله**. يكتب **الأب جورج فلورفسكي** ما يلي: «**معنى التَّأَلُّه هو الشركة الحميمية للبشر مع الله الحيّ لا أكثر. أن تكون مع الله معناه أن تسكن فيه وأن تشترك في كَمَالِهِ**».

التَّأَلُّه هو «الحياة في **المسيح**». يقول **بولس الرسول**: « فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.» (غلا٢:٢٠). عندما يَحْيَا **المسيح** فِينَا، تكون حياة **الله** فِينَا. عندما يحيا فينا، لا يكون **المسيح** مثل **تمثال ميت في مَعْبَدٍ** بل يكون حياتنا ذاتها. تصير هناك شركة حقيقية بالطبيعة الإلهيَّة والحياة الإلهيَّة. **القديس بولس الرسول** أستخدم هذا التعبير:« إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غلا ٤:١٩). مثل هذا الاتحاد مع **المسيح** يُؤَلِّهُنَا، مع ترك شخصيتنا كليًّا بلا مساس. فهذا لا يستلزم على الإطلاق امتصاص شخصية الإنسان بل الإزهار والتحقيق الكامل – بنعمة **الله** – لشخصية الإنسان الفريدة المُعْطَاةِ له من **الله**.

لا عجب في أنَّ **الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة** تعتبر هدفنا في الحياة هو الاتحاد **بالله** أو التَّأَلُّه! فنحن خُلِقْنَا للاشتراك في حياة **الله**. هذا ما يجعلنا مختلفين عن الحيوانات. نحن خُلِقْنَا لكي نكون أوعية لحياة **الله**، وبدون ذلك نتوقف على أن نكون حقًّا كائنات بشريَّة. عندما سأل شخص يومًا ما كاهنًا أرثوذكسيًّا عن اعتقاده في ما هو الشيء الذي تُشدِّد عليه الكنيسة بشكل رئيسي في تعليمها الأرثوذكسي، أجابه بكلمة واحدة: «التَّأَلُّه»، وكان مُحِقًّا. ويقال أن أعظم تقدير قدمه **الله للإنسان** هو عندما قال له: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.» (مت٥:٤٨).

التَّأَلُّه ليس فقط عقيدة، أو تعليم للكنيسة، لكننا نراه كحقيقة حيَّة في **والدة الإله وقديسي الكنيسة**. التَّأَلُّه نراه حقيقيًّا في القديسين الذين تبرروا وتقدسوا وصاروا أبناء وبنات القيامة. **القديسون** هم آلهة بالنعمة والشركة، عاكسون نور ومحبة **المسيح** في حياتهم. حياة القديسين وأيقوناتهم تشرق بحضور **الله**، وتعمل على تذكيرنا بدعوتنا السامية: أنْ نصير آلهة بالنعمة، « لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. » (رو٨:٢١).

شرح تَجَسُّد **السيِّد المسيح** وعقيدة التَّأَلُّه عند **الآباء** يسيران جنبًا إلى جنب. **فالرَّبّ** صار ما نحن عليه حتى يمكننا أن نصير على ما هو عليه. من خلال التَّأَلُّه، تحقَّقت صلاة **الرَّبّ يسوع** الشفاعية: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا» (يو ١٧:٢١). **القديس غريغوريوس النزينزي** يوضح كيف أنَّ سِرَّ التَّجسُّد ونعمة التَّأَلُّه مرتبطان إرتباطًا وثيقًا بعضهم ببعض، عندما قال: «دعونا نعرف كرامتنا، دعونا نُكرِّم نموذجنا الأصلي (٥)، دعونا نعرف قوَّة هذا السِّرّ(٦) ولماذا قَبِلَ **السَّيِّد المسيح** الموت، دعونا نصير مثل **المسيح**، بما أن **المسيح** قد صار مثلنا. دعونا نصبح آلهة لأجله بما أنه قد صار إنسانًا لأجلنا. هو قد اتخذ الأسوأ حتى يمكن أن يعطينا الأفضل. صار فقيرًا حتى يمكننا بواسطة فقره أن نكون أغنياء. إتَّخذ لنفسه صورة عبد حتى يمكننا أن نُرفع. جُرِّبَ حتى يمكننا أن نغلب. قبِل العار حتى يمكنه أن يمجدنا. مات حتى يمكنه أن يُخلصنا. صعد حتى يمكنه أن يجذبنا لنفسه، يجذب ذلك الإنسان الذي كان مذلولًا في سقوط الخطيئة. دعونا نعطي كل شيء، نقدم كل شيء لذلك الذي قدَّم ذاته فدية ومصالحة

لأجلنا. لكن لا شيء يمكن أن يعطيه الشخص مثل أعطائه لذاته، بِتَفَهُّمِهِ هذا السِّرّ، وصائِرًا إكرامًا **للمسيح** كل ما صار هو إكرامٌ لنا» (٧)

أب آخر من آباء الكنيسة هو **القديس إيرينيئوس** يضيف الآتي: « أنه لهذه الغاية صار **كلمة الله** إنسانًا ، **وابن الله** صار ابن الإنسان، حتى يمكن للإنسان بإتحاده **بالكلمة** وقبوله التبني أن يصير **ابن الله**. إذ لم تكن هناك أي وسيلة أخرى يمكننا بها أن نُحقِّق عدم الفساد والخلود. إذ كيف يمكننا أن ننضَمَّ لعدم الفساد والخلود، ما لم يصر الخلود وعدم الفساد على ما نحن عليه أولًا، حتى يمكن للفاسد أن يُبتلع من عدم الفساد، والمائت من الخلود(٨)، حتى يمكننا الحصول على تبني الأبناء؟» (٩)

[١] الاقتباس السابق هو من أحدث الدراسات حول هذه العقيدة، وهو مترجم من اللغة الفرنسية:

The Divinization of the Christian According to the Greek Fathers, by Jules Gross, translated by Paul A. Onica, and published by A and C Press. Anaheim, CA. 2002.

[٢] " وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا (كشبهنا) ... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم" (تك ١: ٢٦،٢٧)

[3] "Salvation in Christ - A Lutheran-Orthodox Dialogue," John Meyendorff and Robert Tobias. Augsburg Publ. House, Minneapolis, MN. 1992.

[٤] رالف والدو Ralph Waldo Emerson (١٨٠٣-١٨٨٢م) شاعر وأديب وكاتب أمريكي مشهور

[٥] السيد المسيح هو "صورة الله غير المنظور" (كو ١:١٥) أو النموذج الأصلي Archetype، أما الإنسان فقد خلق – بحسب الآباء – على صورة الصورة أي على صورة السيد المسيح.

[٦] ألقيت هذه العظة في عيد القيامة، فالسر هو تدبير الخلاص، سر موت وقيامة المسيح

[٧] on Easter, Saint Gregory Nazianzen (N. & Post 1 Oration (392 Page ,7 Vol ,2 Nicene Fathers, Series

[٨] "لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة" (١ كو ١٥: ٥٣،٥٤)

[٩] 1 :19 Chapter ,3 Against Heretics, Saint Irenaeus, Book

أيُّها الغاضب، انظر الى الله

القديس
يعقوب السروجي

في بداية العالم حدث خصام ألقته الحية، وصار الرب وآدم غاضبين منذ ذلك الحين، من كان ناقصا، ومن كان فقيرا، ومن اذنب، ومن ذهب الى رفيقه ليصالحه،؟

آدم اذنب واحتقر وتجاسر وضلّ وتمرد وسرق وافسد وخطف واكل وغضب وخرج، وبعد هذا انحدر ابن الملك من عند ابيه، وجاء وصالح ذلك الذي كان غاضبا بارادته، ذاك الوقور كان قد انحدر نحو الدنس، والغني طلب الصلح من الفقير، رب الجنة نزل وتوسل الى اللص وصالحه واعطاه ليأكل ثمرة الحياة، الراعي الصالح حمل الخروف الضال، وبمحبته جاء وحمله على كتفيه،

خافوا ايها الغاضبون وتزاحموا كل يوم لاجل المصالحة، لان الرب صالحنا بمحبته لما اغضبناه، فلا يقل احد: ان فلانا اذنب ليأت الى انا احسن منه، انها لاهانة ان اذهب واصالحه، هو اخطأ بحقي ليأت ويطلب العفو واقبله، وبتواضعه سيتعرف كل واحد على ذنبه، الرب لم يشأ ان يصنع هكذا مع آدم الذي اذنب بحقه، بل تواضع وطلب منه ليصالحه، لو كان الرب قد ظل في موضعه الى اليوم ولم يأت اليه، لكان الى الآن غاضبا عليه، واذ كان يعلم ان ما ينفع هو ان يتواضع توسل الى العبد الهارب ليصالحه، ذاك العَلِيُّ نزل بحنانه عند السفليين وصالحهم واخذهم واصعدهم الى موضعه ليعظمهم، ذاك الغني وجه غناه الى الفقراء، وصنع السلام واثرى واصعد عند والده، ذاك الجبار صنع الصلح مع الضعفاء، واكرم وخلص واعادهم لانهم كانوا مفقودين، تواضع الرب للعبيد والملك للوضيعين، والله ايضا نزل وصالح البشر، ايها الغاضب انظر الى الله وتشبه به، واصنع الامان مع قريبك بتمييز، اغسل منك الغضب والإفْكَ، وسوء القلب وستحل محبة الرب في نفسك كالملكوت، من هو غاضب على رفيقه ولا يحبه، يبغض الرب ولا يتنازل حتى يحب اخاه، البشر هم صورة اللاهوت، و من يكرم صورة الملك يحب الملك، لو احتقر احد صورته او اهانها، يطالب الملك بالانتقام من محتقري صورته.

لو احب احد الله لا يقدر ان يبغض اخاه، او يصير غريبا عن قريبه، الله خفي واخوك قريب وهو صورته، اصنع الكرامة لذاك البعيد بواسطة هذا القريب،

لو يبغض قلبك اخاك الظاهر والقريب، كيف تحب الرب الخفي والبعيد عنك؟

بواسطة اخيك برهن على وجود المحبة في نفسك، وبعدئذ تعد بان تحب الرب الاسمى منك، الملك بعيد وصورته قريبة، فلو اهنت الصورة يغضب الملك وينتقم لاهانته، كل الفرائض التي يجب ان تقدمها لله اظهرها بواسطة اخيك وبموجبها يكافئك الرب، اكرم الصورة واحببها ولاطفها وتصالح معها وسيكافئك الملك غير المحتاج الى اكرامك.

احبب الله واحبب قريبك بفكرك، مبارك من بمحبته صالح العالم مع والده.

(ميمر عن المحبة لمار يقعوب السروجي: بهنام سوني. ترجمة من السريانية إلى العربية ودراسة على ميامر الملفان مار يعقوب السروجي. الجزء الأول. بغداد، ٢٠٠٣).

في بيتٍ صغير ذي سقف وضيع، في شارع ضيق يقود إلى **كنيسة بنتاناسا الجميلة في مدينة باتراس**، عائلة تعيش في مأساة. لقد رأت الأُم بعد أن ٱستيقظت من البنج بعد ولادتها طفلًا بواسطة القابلة القانونيَّة، بأن لسان طفلها كان **يمتد خارج فمه**. شعرت بِرُعْبٍ في داخلها. كان الطفل يحاول أن يرضع صدر أُمِّهِ لكنه لم يكن باستطاعته ذلك لأن لسانه كان طويلًا جدًّا وكان يتدلى ثلاثة إلى أربعة سنتمترات خارج فمه. **لقد بدأت المأساة.**

لقد اعتكفت الأُم في البيت مع طفلها. لقد ذهبت ذهابًا وإيابًا إلى **أثينا** على رجاء أن يجد الأطباء علاجًا، ولكن لسان الطفل كان ينمو في الطول أكثر، وكان يتدلى حتى ذقنه وكان اللعاب يسيل من فمه بشكلٍ دائم. وقد توسلت إلى الله: **«يا إلهي قُل لي ماذا أفعل»**.

لقد نصح الأطباء بقطع لسان الطفل ما يعني أنه لَنْ يكون قادرًا على التكلم. فرفض الأهل هذا وباعوا كل ما بوسعهم ليأخذوا الطفل خارج البلد طلبًا للمشورة الطبيّة. أخذوا الطفل إلى عيادة خاصة في **السويد** وهناك أيضًا كانت آراء الأطباء مماثلة لأطباء **اليونان**، وذلك أنّ لسان الطفل يجب أن يقطع. لقد قال الأب والأم متفقين: «**كَلَّا**». ثم ٱتصلوا بأقربائهم في **باتراس** يقولون لهم إنهم عائدون إلى البيت دون أن يسمح حزنهم بأن يقولوا أي شيء أكثر.

في البيت، استقبلتهم عائلتهم المؤلفة من والديهم وإخوتهم وأخواتهم بشوق وبتمالك النَّفس. لكن هيئة الطفل غير المتغيرة ومعنويات الأهل الضعيفة بعد رحلة طويلة مُتعبة وغير ناجحة ألقتهم في حالة **من اليأس**. استقبلوهم بدموع. ماذا لديهم ليقولوا؟ أي تعزية يستطيعون أن يقدموا لهم؟

فجأة سُمع صوت امرأة معروفة بأنها مستنيرة ومسيحية حقيقية كرّسَت حياتها للكنيسة ولقديسيها، فقالت لأهل الطفل: **« اصغوا إليّ، إن الله سيسمع صلواتنا»**.

ثم وجّهت كلامها إلى الأُم قائلة: **«اعهدي طفلك إلى القديس يوحنا الرُّوسي الذي ما زال جسده كاملًا من دون فساد، فهو يذهب إلى أي مكان يُرسله الله. اسأليه الآن بحرارة أن يزور طفلك. وبالرغم من أنكم متعبون هلمّ نذهب جميعنا الآن إلى كنيسة البنتاناسا للصلاة»**.

إن الصلوات التي تقدمها من أجل الآخرين كما يقول اللاهوتي الفرنسي، والطبيب ألكسي كارل هي أفضل صلوات وهي مسموعة من الله.

في الكنيسة، رتّل الكاهن المتقدم في السّن قانون الابتهال إلى **القديس يوحنا الرُّوسي** ومن ثم أقام سهرانية قصيرة **إكرامًا للقديس**. ثم عادت الجماعة الحزينة من الأقرباء إلى البيت. دخلوا البيت وأشعلوا الضوء فصرخت والدة الطفل **«يا قديسي يوحنا هل جئت بهذه السرعة لكي تأخذ ألمنا الذي لا يطاق؟ ماذا ترى عينايَ المتعَبَتان اللتان ذرفتا الدموع المرّة لثلاث سنين؟»**.

كل الحاضرين شهدوا نهاية محنة الطفل: لقد عاد لسانه إلى وضعه الصحيح وبدأ يتكلم.

هذه الحوادث لا يمكن تفسيرها بالمنطق البشري. بالنسبة للذين ينكرون إمكانية الذهاب أبعد من المنطق الضعيف وبرهان الحواس، هذه الأشياء ليست أكثر من قصص خيالية. أمّا بالنسبة لذوي الإيمان فهذه الأشياء بسيطة وممكن تفسيرها. وبكلام **القديس بولس**: «وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى» (عبرانيين ١١:١).

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122